



المعيراتب التحسيني

ALTINOLUK

مجلة تصدر كل شهرين - العدد الخامس عشر (أيار - حزيران ٢٠١٦)

أخلاق المؤمن



قال رسول الله ﷺ:

“إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً”

(رواه البخاري)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

ديننا دين الأخلاق والتسامح، ونبينا القدوة والمثل الأعلى بالأخلاق، فهي ثمرة الإيمان لأنها تنبع من عقيدة وقلب سليم، وهي أساس التعامل بين الناس، فليس هناك شيء يزين الإنسان ويرفع درجته عند الله تعالى ويعلي مكانته بين الناس مثل حسن الخلق، وحسن الخلق يعني: أن يتزين الإنسان بكل الصفات الإنسانية الجميلة كالدين ولحلم والصبر والعفو والمروءة والكرم والأدب والتواضع والمعاملة الطيبة مع الآخرين وغير ذلك من الصفات الكريمة وحين أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ أثنى عليه ومدحه بحسن الخلق فقال تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)

وقد دلّت هذه الآية الكريمة على أنّ رسول الله ﷺ قد تحلّى بهذه الأخلاق الحميدة، وقد استطاع أن يجمعها في شخصيته عليه الصلاة والسلام. وحتى يكون الإنسان صاحب خلق حسن يجب أن تتوفر فيه صفات عديدة وكثيرة، وقد تكون أبرز هذه الصفات الاتّصاف بالحياء، وذلك لأنّ الحياء يحكم صاحبه، فتعف نفسه عن فعل ما يخدش هذا الحياء الذي اتّصف به، ومن صفات صاحب الخلق الحسن أن يكون قليل الأذى ومعناه عدم القيام بايذاء أحد من الناس، وأن يكون كثير الصّلاح وصدوق اللسان، وهاتان الصفتان من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في صاحب الخلق الحسن.

ومن أهم الصفات التي يجب أن تلازم صاحب الخلق الحسن أن يكون قليل الكلام وكثير العمل، وقليل الزلل والفضول، وأن يكون أيضاً باراً بوالديه، واصلاً لرحمه، وللصالحين من حوله، وأن يكون وقوراً وصبوراً، وأن يكون حليماً وراضياً وشكوراً، وأن لا يكون لعاناً ولا فحاشاً ولا شباباً، ولا نهاماً، ولا حسوداً، ولا مغتاباً، وأن يكون حبه لله ﷻ وكرهه من أجل الله ﷻ، وأن يكون غضبه من أجل الله ﷻ، وأن يحرص على رضى الله تبارك وتعالى.

فحُسن الخلق يعني بشكل إجمالي حسن التعامل سواء أكان ذلك بطلاقة الوجه أو ببذل المعروف أو حتّى بكف الأذى عن الناس، وحسن الخلق له أهميّة كبيرة في الاسلام العظيم؛ حيث إنّ الاسلام قد حث الناس على التخلق بالخلق الحسن، بل إنّ أفضل الأخلاق أخلاق الإسلام التي يجب أن يتمثل بها المسلمون.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

الميزاب الذهبي

مجلة تصدر كل شهرين

العدد الخامس عشر

(أيار - حزيران ٢٠١٦)

(شعبان - رمضان ١٤٣٧)

رئيس التحرير

بيت الله ديمرجي اغلوا

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله ديمرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قابا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. مصعب كعك

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

إدارة المجلة.

Organize Sanayi

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

دار النشر والطباعة

Erkam Matbaası Organize Sanayi.

Bölgesi Turgut Özal Cad. No: 117/2-C

Başakşehir / İstanbul Tel:0090 212 671 07 00

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات

والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

٧



الفاروق رضي الله عنه

بروفسور د. لطف الله جيبجي

٣



أخلاق المؤمن

الأستاذ/ أحمد طاش غاتيران

٤٤



الأخلاق دين المؤمن

الأستاذ: نور الدين يلدر

٢٨



التضحية مقياس المحبة

الأستاذ: عثمان نوري طوباش

٣٦	الإقتراب من اليمين	١	افتتاحية العدد
٣٨	القدس مدينة الروح	٣	أخلاق المؤمن
٤١	الإسراء والمعراج	٧	التدين في المدينة
٤٢	الشوق إلى الإنسان	١٢	نيجيريا والخلافة العثمانية
٤٤	الأخلاق دين المؤمن	١٧	عزة المؤمن
٥٠	الخير للخير	٢٠	فلنقل الله
٥٢	عندما تكسر أجنحة الأطفال	٢٢	الحق والباطل
٥٤	التقوى معيار القيمة	٢٤	في ظلال آية
٥٦	حلاوة الإيمان	٢٨	التضحية مقياس المحبة

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



أخلاق المؤمن

"أخلاق المؤمن" هي نتاج قلب مؤمن. إذا ما كانت المجتمعات المؤمنة تعاني من مشكلة في الأخلاق - وهي تعاني بالفعل - فعندها يجدر بنا أن نفكر بوجود مشكلة في قلب المؤمن.

أحمد طاش غاتيران

"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده". ويمكن فهم هذا الإطار على أنه "عدم إيذاء الآخرين". والجانب الآخر المتقدم لهذه الميزة هي "عدم التأذي من أي أحد".

عدم إيذاء الآخرين يعني التجنب التام للتصرف معهم بشكل سلبي، أما التأذي فهو - إضافة إلى كونه التعرض لقوة فعلية - انكسار القلب.

فالمؤمن يكون متنبهاً للغاية ويراعي شعور غيره من الناس، لكي لا يسبب له ألماً أو يكسر قلبه.

المؤمن هو المفعم بالإيمان والذي يمنح من حوله الإحساس بالثقة، أما المسلم فهو الذي يؤمن بالإسلام ويدرك العلاقة بين السلام والطمأنينة والشعور بالأمان.

الأخلاق هي الإطار الذي يحدد العلاقات الإنسانية، وأخلاق المؤمن جو من الثقة يبثه المؤمن في كل علاقاته مع الناس في مختلف مجالات حياته.

وقد وضع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أسس أخلاق المؤمن في الإطار التالي:

وعدم التأذي من تصرفات الآخرين هو عدم الشعور بالسلبية وإظهارها للطرف الآخر، حتى إزاء الأفعال الخاطئة التي يقوم بها. هو عبارة عن آلية يقوم بها القلب للتخلص من المشاعر السلبية التي تتجمع مع الوقت، وتؤدي إلى ردود أفعال سلبية.

فأخلاق المؤمن- بناء على ذلك- تتطلب قواماً معيناً للقلب.

يمكن وصف هذا القلب بـ "القلب المشيع" أو بحسب الوصف القرآني "القلب المطمئن".

إنه القلب الذي وصل إلى برِّ الاطمئنان، هو القلب المشيع بذكر الله. وهذا يعني إدراك المعية مع الله تعالى في كل لحظة.

والقلب المشيع بذكر الله لا تدخله المشاعر الهدامة كالغضب والحقد والحسد، وبالتالي لا يندفع الشخص إلى القيام بتصرفات نابعة من هذه المشاعر.

ليست المعية مع الله جل جلاله بالأمر الذي يستهان به، فالقلب الذي يكون مع الله تعالى هو قلب حي نابض لا يتصرف بما لا يرضي الله تعالى.

والقلب المشيع هو في نفس الوقت قلب تخلص من الآلام والعطش الروحي، قلب متوكل لا يطالب أحداً بأي مقابل فهو مشيع بـ "حسبي الله" وهو لهذا السبب قد بلغ السكينة والطمأنينة، قلب طاهر متوازن لا يخالجه الخوف أو القلق.

وكل هذه الصفات تعد المبادئ الأساسية والقاعدة العريضة للأخلاق المتوازنة.

إذا كانت المجتمعات المؤمنة تعاني من مشكلة في الأخلاق- وهي تعاني بالفعل- فعندها يجدر بنا أن نفكر بوجود مشكلة في قلب المؤمن.

إن الإسلام نهى عن الاستهزاء بالآخرين حتى بأسلوب الهمز واللمز وعن السخرية والنميمة، فكل

من تمتد يده حاملاً سلاحاً كان أم لم يكن، لتطال حقوق مؤمن آخر أو أي إنسان آخر، فهذا يعني أنه غير منضبط بقواعد الأخلاق التي ينص عليها الإسلام لتشكل نسيج شخصية الإنسان.

لقد باتت أخلاق الإسلام تصرفات مثالية فاضلة بعيدة عن الواقع في المجتمعات المسلمة، وفي هذا دلالة على مشكلة عميقة في علاقة المجتمعات المسلمة بالإسلام.

ودين الإسلام يدعو إلى الرفق حتى بالحيوان وعدم تحميله أكثر من استطاعته ولا يُجيز تعنيفه أو ضربه، وينهى عن إطالة الحديث مع الآخرين أثناء امتطاء الدابة.

وهكذا فإن قيام أتباع دين يصف إماطة الأذى عن الطريق بأنه "صدقة" بإشغال الطرقات يدل على وجود مشكلة خطيرة.

لقد وصف الله تعالى الرسول عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم قائلاً:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام المهمة التي جاء من أجلها في الحديث الشريف:

"إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

بالنظر إلى ما ورد في القرآن الكريم فإنه بوسعنا أن نرى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو "نبي الأخلاق"، وبالنظر إلى ما جاء في الحديث الشريف نرى أن دور الأخلاق هو "تعريف المهمة".

إذن يجب أن نرى كل المبادئ التي نص عليها الإسلام في شخص الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وأن نعتبره "قدوة أخلاقية" نتبعه ونحذو حذوه ونصطبغ بصبغته أي أن ننظر إلى أخلاقه...

إن كل الكتب التي ذكرت فيها أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام تكلمت عن:

"تواضع رسول الله عليه الصلاة والسلام وكرمه وتقواه ورأفته ولطافة طبعه ورحمته وعطفه وعفوه ومراعاته حق الجار وحسن معاملته للفقراء والأسرى والخدم وطيب معاملته للمرأة والأيتام ورفقه بالحيوان وأدبه وحيائه..."

مثلاً جاء في "أدب الرسول وحيائه" أنه كان "أشد حياءً من العذراء في خدرها."

بحسب تعبير الصحابة. إن النظر إلى كل ذلك بغرض التعرف على صفات وخصال شخصية تاريخية لا يعني تمثيل "الأخلاق المحمدية"، فتمثل الأخلاق المحمدية يعني التطبع بطباع الشخصية المحمدية والتحلي بكل صفات رسول الله عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى:

﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

وهذا يعني التطبع بخصال رسول الله عليه الصلاة والسلام سواء في الأسرة أو في العمل أو في الحياة الاجتماعية... أي في كل جوانب الحياة..

فلنتفكر في الأخلاق التي ينص عليها القرآن الكريم؛ فهو يذم أن يمشي الإنسان بتكبر وكأنه سيخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولاً. فلنتفكر في القرآن الذي يدعو الإنسان إلى الحفاظ على نبرة صوت إنسانية عند الحديث مع الآخرين وعدم رفع الصوت كصوت الحمير.

فلنتفكر في التنبيه الذي ورد في القرآن الكريم للرسولين اللذين أرسلنا إلى شخص ظالم كفرعون وهو "القول اللين". فلنتفكر في تصرف سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما صافح رجلاً التقاه في الطريق وتجنبه أن يكون أول من يسحب يده.

فلنتفكر كيف كان النبي ﷺ أكثر شخصية محبوبة من قبل المؤمنين في المجتمع الذي كان يعيش فيه.

فلنتفكر في قول النبي ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا." والذي أتبعه بقوله:

"ولا تؤمنوا حتى تحابوا"

تتجلى في هذا الحديث رغبة النبي ﷺ بأن يكون المجتمع الإسلامي مجتمع محبة ووئام.

فلنتفكر في قول النبي ﷺ:

"ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه" الذي يكاد يشير إلى أن الأشخاص المتجاورين يمتلكون حقوقاً كحقوق الأقرباء.

إن المؤمنين يتبعون خطوات النبي ﷺ الذي يقول "من غشنا فليس منا" معرّفاً المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع الثقة المتبادلة اللامتناهية.

وإن كنا نبتغي المضي على خطوات النبي ﷺ فعلينا أن ننظر إلى مجتمعنا ونتمعن في مقدار الثقة الموجودة في التعامل وفي كل جوانب الحياة، لنعرف إن كنا نفتدي به ونحذو حذوه فعلاً أم لا.

إذا ما تأملنا المجتمع الذي نعيش فيه ابتداء من الأسرة التي هي أصغر وحدة في المجتمع، وإذا ما نظرنا بعين فاحصة إلى العلاقات بين الأزواج، بين الوالدين والأولاد، بين زوجة الابن وأهل الزوج،

الأخلاق تشمل الإيمان والعبادة، ولكن قبل كل هذا الأخلاق هي سلوك سامي. الأخلاق سمو وارتقاء. الأخلاق تصفية السلوك وانتقاء أفضله.

يقال إن مقياس الحضارات يعرف من دقائق الأمور. الأخلاق هي انتباه المؤمن إلى عدم إزعاج أو إيذاء أحد حتى في أدق وأصغر التفاصيل.

بين الأجداد والأحفاد، سنرى الفارق الشاسع بين المجتمع الذي نعيش فيه والمجتمع الذي أنشأه رسول الله عليه الصلاة والسلام.

كذلك فإن نظرةً إلى العلاقات بين جيران المبنى الواحد وبين المارين في الشارع والعلاقات في أماكن العمل وإلى علاقة أرباب العمل مع الموظفين والدولة مع الشعب ثم إلى علاقات الشعوب والأمم مع بعضها البعض، كل ذلك يجعلنا ندرك بُعدنا الشاسع عن نهج رسول الله عليه الصلاة والسلام.

تظهر أحياناً مشكلة لدى من يرتادون المساجد، ويلاحظ فقر حقيقي إلى الأخلاق القويمة، وهذا ينبع من عدم فهمنا الصلة الحقيقية بين الصلاة والتحلي بالأخلاق، أو أن صلاتنا ليست كما يجب أن تكون، فعندما نقف في حضرة الله تعالى لا يملأ الإيمان قلوبنا ولا ينيرها كما يفترض أن ينيرها، إن هذا دلالة على عجزنا عن اكتساب أخلاقنا من العبادات التي نؤديها... فأين هي أخلاق المؤمنين الذين يكادون يسحقون بعضهم البعض كي لا يتأخروا على موعد الإفطار؟ علينا أن نطرح هذا السؤال.

ربما يمكن القول إن الأخلاق تشمل الإيمان والعبادة، ولكن قبل كل هذا الأخلاق هي سلوك سامي، الأخلاق سمو وارتقاء، الأخلاق تصفية السلوك وانتقاء أفضله. وقد قيل: إن مقياس الحضارات يُعرف من دقائق الأمور. الأخلاق هي انتباه المؤمن إلى عدم إزعاج أو إيذاء أحد حتى في أدق التفاصيل وأصغرها.

كلمة أخيرة: لا يليق بأمة محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أن تعاني من مشكلة في الأخلاق...

عشان ألتاش

حبة الله وعجنت

كيف للعبد ألا يحب ربه

وربه في القلب ساكن

كيف للعبد ألا يحب ربه

والله ودود محب.

امتلاء القلب بالمحبة والرحمة

محمد ﷺ وردة ملؤها الإحسان

أرسله ربي إلى الأمة

كيف للعبد ألا يحب ربه.

يضيء القلب بالحب والإيمان

يمتلأ العالم بأسره بهذا النور

ينساب القرآن من اللسان إلى القلب

كيف للعبد ألا يحب ربه.

يُرفع الحجاب بذكرنا لله

يرى كل شيء في سجدته

يعرج إلى السماء عند جلوسه في الصلاة

كيف للعبد ألا يحب ربه.

ربي أحبي عبدك بالحب

أحطه بحبك، املاؤه بعشقك

الله يمنح عبده الوصال

كيف للعبد ألا يحب ربه.

أيها القلب ابدأ بالذكر الآن

اركض إلى الله تعالى لا تتأخر

فالجنة هي الثواب الذي ينتظرك

كيف للعبد ألا يحب ربه.

التدين في المدينة

﴿بروفسور د. لطف الله جيبجي﴾

يرى بعض الناس أن التدين أمرٌ يليق بأهل القرى، ويرى آخرون أن الأفضل يوجد دوماً في المدينة، لذا فإن التدين الأفضل تدين أهل المدينة. والسبب في اختلاف وجهتي النظر يرجع إلى المعنى الذي نسبغه على الدين وعلى التدين... إذا عرّفنا المتدين بأنه مسلم يتمتع بعمق التفكير وذو خبرة يعرف بماذا يؤمن ولماذا، وينعكس ما يؤمن به على شخصيته وحياته، ويتمتع بثقافة وتجربة متماشية مع ما يعتقد، وأنه إنسان مخلص ودود ذو شخصية متزنة يمكن الوثوق به، واثق من نفسه يتصرف باتزان؛ فنستطيع القول عندئذ إن احتمال العثور على هذا النوع من التدين في المدينة هو- بلا شك - عال جداً، لأن هذا النوع يمكن الحصول عليه بالتعليم والتعلم. لكن إذا نظرنا إلى الدين من زاوية مادية إلحادية واعتبرنا أنه أمر لا يليق كثيراً بإنسان العصر، عندها يفقد الدين رواجه ويعدُّ إيماناً مليئاً بالخرافات البدائية الخارجة عن حدود العقل والمنطق، وحينها سنعتبر أن الدين والتدين يليقان بالناس الذين يعيشون في القرى والجبال والأرياف البعيدين نوعاً ما عن الحضارة.

إن الدين في الحقيقة موجود داخل كل إنسان سواء كان من سكان المدن أم القرى، إلا أن المدن كانت المركز الأساسي ونقطة انطلاق التبليغ، لهذا كان جميع الأنبياء من سكان المدن، ونخبر الله ﷻ النبي ﷺ عن ذلك بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ (يوسف: ١٠٩)



الحضارة تقدم للإنسان حياة تعتمد على القيم والمعتقدات وهذه القيم والمعتقدات تحيط بجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية. وتختلف حضارة عن أخرى بفلسفتها ونمط الحياة الذي تقدمه للبشر.

أي كان جميع الأنبياء ومنذ القديم رجالاً متحضرين من سكان المدن، ولم يكونوا بدويين رحلاً أو من سكان الجبال أو القرى؛ وإنما أناساً شجعاناً ينحدرون من المدن لأن النبوة مصدرٌ أكبر الحضارات، في حين أن بيئة القرى والبدو الرحل لم تكن البيئة الملائمة لصفات النضج والرقّة والقدرة على الاجتذاب وجميع الخصال الحميدة الأخرى التي يجب وجودها عند الأنبياء.

وأهل المدن يكونون أكثر قدرة على الإدراك والفهم لما يتمتعون به من معرفة وخبرة. والعلاقات بين الناس في المدن أكثر تعقيداً وكثافة، بينما تسود الرتابة في الحياة في الصحراء والقرى، كما أن الاحتياجات هناك محدودة ومحددة، وتبليغ رسالة الأنبياء أمر متعدد الأبعاد ويتطلب الإجابة على مطالب الناس في كل مكان وفي جميع الحالات، وكذلك تلبية متطلبات الحياة اليومية من مختلف النواحي.

لهذا فإن الأنبياء بعثوا أولاً إلى المدن، وبدؤوا في تبليغ الرسالة التي كلفهم بها الله تعالى عبر الوحي إلى الناس انطلاقاً من المدن بل وحتى المدن الكبرى.

وهكذا يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ (القصص: ٥٩)

وفي آية أخرى يقول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام: ٩٢)

أي أن الله تعالى أشار إلى ضرورة أن تبدأ الدعوة من "أم القرى" في شبه الجزيرة العربية؛ أي مكة المكرمة التي تعتبر مدينة كبرى.

واللافت للانتباه أن القرآن الكريم يذكر مكة التي ولد فيها النبي ﷺ وترعرع بـ "أم القرى". وهذه الكلمة مرادفة لكلمة (الحاضرة) أو (ميتروبول) التي تعني باليونانية القديمة المدينة الكبيرة المركزية بما حولها من أحياء مجاورة وقرية والمساحة الكبيرة الواقعة تحت تأثيرها. كلمة مدينة وكلمة مدنية مشتقتان من الجذر نفسه، لأن المدينة هي مركز الحضارة ولهذا سميت بالمدينة. لهذا عندما هاجر النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى "يثرب" أطلق على يثرب اسم المدينة لأنها كانت ستصبح مركز التسامح والتفاهم والعدل والأخوة والقانون ومنها تفتحت براعم الحضارة الإسلامية.

والحضارة تقدم للإنسان حياة تعتمد على القيم والمعتقدات وهذه القيم والمعتقدات تحيط بجميع نواحي الحياة المادية والمعنوية. وتختلف حضارة عن أخرى بفلسفتها ونمط الحياة الذي تقدمه للبشر.

إن كلمة "بداوة" عكس كلمة "الحضر" وفي حين تعني كلمة حضري "سكان المدينة" فإن كلمة "بدوي" تعني سكان البلدة أو الشخص الذي لا يسكن المدينة، بل القرى أو الجبال أو الصحراء ويكون أحياناً

"من البدو الرحل". فهذه الكلمة في القرآن الكريم مرادفة لكلمة "قروي" التي نستخدمها عكس كلمة "حضري". فعلى سبيل المثال تلخص سورة التوبة الحياة الفكرية والحالة الروحية للـ "بدو" في قوله تعالى:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٧-٩٩)

إن حياة سكان القرى محدودة في الغالب، ولا تتعدى الخيم التي يقطنونها والحيوانات التي يرعونها والأماكن التي يتجولون فيها في الأرياف، لهذا فإنه من الطبيعي أن تكون عواهم وآفاقهم الفكرية محدودة، وبعضهم يكونون - وفق التعبير القرآني - أشد كُفْرًا ونفاقًا من أهل المدن. وهذا يرجع إلى صعوبة

ظروف معيشتهم وبعدهم عن المدن والأشخاص الذين سيعلمونهم الدين والإيمان. وتكون طباعهم أكثر خشونة من سكان المدن، ويكونون أكثر شُكًا لأن معيشتهم أكثر صعوبة، وكما يقول المثل - إن صح التعبير -: "إن من تلدغه الأفعى يخشى الحبل". وأهل القرى لا يصدقون على الفور ما يُقال لهم لكنهم لا يقولون ذلك بشجاعة وإنما يلجؤون إلى النفاق لحماية أنفسهم، لأن معرفتهم وآفاقهم الفكرية غير كافية لفهمهم ما يقوله الأنبياء، وجهلهم في هذه الأمور أمر

طبيعي، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)

فهم يجدون صعوبة في الإيفاء بمتطلبات الإسلام حيث يرون - على سبيل المثال - في إنفاق المال والصدقة في سبيل الله خسارة، ولا يرون الأمر مكسباً أو ربحاً لأنهم لا يبذلون ذلك المال من أجل إرضاء الله ﷻ وحده ولا يرجون ثوابه تعالى. لذا فإن الأعراب يتمنون أن تحل المصائب بالمسلمين وألا يكونوا هم الأعلى ليتخلصوا من أداء هذا الأمر الذي يرونه عبئاً لا طائل وراءه. بيد أن ذلك لا ينطبق عليهم جميعاً، فكما تذكر الآية الكريمة هنالك من يؤمن بالله ﷻ وبالأخرة إيماناً خالصاً،

ويعد الصدقات والنفقات التي يبذلها في سبيل الله ﷻ خيراً كبيراً وزاداً له في الآخرة، وهناك بدو وأعراب ينفقون انطلاقاً من هذا الإيمان. إن المناخ الصعب الذي يعيش فيه سكان القرى والأرياف يسهم بدرجة كبيرة في هذه الأحوال السلبية التي يعيشونها، والأمر الذي يجعل سكان المدن في مرتبة أعلى من سكان القرى يرجع أيضاً إلى المناخ الذي يعيشونه في المدن، فالمناخ الاجتماعي والاقتصادي لحياة المدينة يجلب معه المعرفة والخبرة والثقافة والسعة والرفاه. أجل؛ إن القرآن يذم الأعراب وأهل القرى والجبال، إلا أن التحضر وحياة المدن ليست بالأمر الهين... لأن التدين والعدل والتسامح ومراعاة الحلال والحرام واللقمة الحلال والكسب الحلال وكذلك مراعاة حقوق الآخرين وصون العين واللسان والقلب والحفاظ على الاستقامة أمر أصعب في المدينة، كما أنه

صفة الكلام

أن التدين اليوم في المدينة أو في القرية على حد سواء أمر صعب، وفي الواقع أصبح التدين أمراً عسيراً في كل زمان وفي أي مكان. ولا تستطيع إلا قلة قليلة من الناس اليوم أن تتحمل بإخلاص وبصدق المصاعب والتحديات التي يتطلبها التدين وهم يحاولون أن يكونوا عباداً صالحين في حياتهم، سواء من سكان القرى كانوا أو المدن.

لا يمكن المساواة بين إدراك القروي للدين وعيشه له، وبين تدين ابن المدينة، فخصائص كل منهما مختلفة.

لكن ثمة حقيقة يجب الإشارة إليها ألا وهي أن التدين في المدينة لا سيما في أيامنا هذه يبدو أمراً أكثر صعوبة، فالمدينة تقدم للإنسان إمكانيات لا حصر لها، لكنها وفي نفس الوقت تضع أمامه العوائق، والإنسان قد يستخدم تلك الطاقات ليسمو بروحه أو قد يتعثر بالعوائق ويهبط إلى الدرك الأسفل... لهذا فإن "التدين" اليوم في حياة المدينة في تزايد لكن ومن جهة أخرى نرى في المدينة ابتعاداً عن الجوهر وتغريباً عن الذات وانحلالاً معنوياً.

فإنسان المدينة قد يسأم أحياناً من انحلالها فيتجه إلى التدين للاحتماء بدرعه؛ أي إن الهوس المفرط بالدنيا يثير خوف إنسان المدينة وهو ما قد يعيده إلى رشده. ولعل إنسان القرية لن يشعر بهذه المخاوف أو تلك الحاجة. وهذا بلا شك لا يعني أن أهل القرى أكثر نقاءً وصفاءً من أهل المدن. فالعالم بدأ يتحول إلى قرية صغيرة مع تطور العصر ووسائل الاتصال، وبفضل أجهزة التلفاز والأقمار الصناعية والهواتف المحمولة زالت الفروق بين القرية والمدينة وبات سكان القرى يرون كل شيء ويطلعون على كل جديد، وباتوا جزءاً من كل أنواع انعدام الأخلاق، ولم يعد هناك في كثير من النواحي ما يميز بين المدينة والقرية؛ لهذا أصبحت قرانا - مع الأسف - تبدو راغبة بفقدان جوانبها الإيجابية وتُشاطرُ المدن سلبيات العصر.

وعلينا في حديثنا عن التدين في المدن عدم إغفال نقطة هامة، ألا وهي أن مدينة الأمس ليست كمدينة اليوم، فقد أصبحت شروط الحياة في المدينة الآن أكثر صعوبة في بعض النواحي، وتدفع الإنسان بشكل أكثر إلى ارتكاب الأخطاء. واليوم تقدم المدينة لسكانها خيارات لامتناهية تجرهم إلى "الذنوب" وتسهل ارتكابها، فصار التدين في المدينة أكثر صعوبة، وهذا أحد أهم الفروق بين الأمس واليوم...

وإذا ما رجعنا قليلاً إلى الوراء في تاريخنا، نرى أن سكان المدينة كانوا فيما مضى مجتمعاً أكثر تلاحماً، وكانت بينهم شخصيات يحبونها وعلماء أفاضل، وكان يفكر بعضهم ببعض، وعندما تقع مشكلة ما كان هؤلاء النخبة يتدخلون بإحسان ورحمة لحلها.

وعندما تراجع دور هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يلعبون دوراً إرشادياً، بات الناس وحيدون مع مشاكلهم، وأصبحوا أفراداً بعد أن كانوا جماعة ولم يعودوا قادرين على تشاطر الخيرات وتعميمها، أو تشاطر المصاعب وتبذرها. وكان من يهاجر من القرية إلى المدينة سابقاً يذوب في هذه البوتقة، لكنه هو أيضاً أصبح في حاله. وهكذا نما في كثير من الأحيان مفهوم التدين غير العميق، وإذا ما أضيف إليه الغنى اختفى التواضع والاقتصاد واحترام الآخرين، وظهر خليط عجيب من التدين الممزوج بالإسراف والبذخ والجري وراء كل طراز جديد. بعبارة أخرى بدأت رموز نمط الحياة الغربية المستقاة من الحضارة الرومانية واليونانية تسيطر على تديننا في المدن، وصار ما كنا نسميه في الماضي إسرافاً أمراً اعتيادياً في نظرنا.

وصفوة الكلام أن التدين اليوم في المدينة أو في القرية على حد سواء أمر صعب، وفي الواقع أصبح التدين أمراً عسيراً في كل زمان وفي أي مكان. ولا تستطيع إلا قلة قليلة من الناس اليوم أن تتحمل بإخلاص وبصدق المصاعب والتحديات التي يتطلبها التدين وهم يحاولون أن يكونوا عباداً صالحين في حياتهم، سواء من سكان القرى كانوا أو المدن. إنها دنيا الامتحان، بعضهم يُمتَحَنُ بالقدرات والآخر بالعوائق، وكل من الامتحانين له نواحيه الصعبة، إلا أن الذين يمتحنون بالفقر والحرمان يكونون في معظم الأحيان أكثر نجاحاً ممن يمتحنون بالمال والسعة؛ إذن علينا النظر إلى كيفية حياتنا ومدى إخلاصنا في تديننا بغض النظر عما إذا كنا نعيش في مدينة أو في قرية.



ثمة جوانب سلبية وأخرى إيجابية في حياة المدينة، وكذا الحال في الحياة الريفية. والحكاية المشهورة التالية لشقيقتين عارفين بالله ﷻ، أحدهما كان يقطن الجبل والآخر المدينة، خير مثال على موضوعنا كان الشقيق القاطن في الجبل يعمل راعياً والآخر كان يصلح الأحذية. وذات يوم زار الأخ القاطن في المدينة شقيقه وأخذ معه جرة متوهجة ليستدفئا بها، ووضعها في منديل دون أن يحترق فقد كان عارفاً ذا كرامات.

وفي يوم آخر أتى الأخ القاطن في الجبل إلى المدينة لزيارة أخيه ومعه منديل مربوط من زواياه الأربع ومليء بالحليب الطازج، لا يتسرب الحليب منه لأن هذا العارف كان من أصحاب الكرامات أيضاً.

وصل الأخ إلى دكان أخيه وأعطاه الحليب، فعلقه في مسمار على الحائط ثم بدأ بالتحدث، ثم دخلت امرأة الدكان وخلعت حذاءها لإصلاحه، فالتفت الأخ قاطن الجبل فرأى قدم المرأة البيضاء، فبدأ الحليب بالتسرب من المنديل، فقال له أخاه:

"إن التعب في الجبل أمر يسير، لكن هل ستستطيع الحفاظ على تعبدك إذا سكنت في المدينة؟".

درويش الجبل ودرويش المدينة



العلاقة بين

إمبراطورية كانم برنو (نيجيريا)

والخلافة العثمانية

موسى عمر - نيجيريا

الذاتية، مستفيدا من تلك التجارب والآثار في تطوير حياته وتقويم عيوبه وإكمال نقصه وتنمية قدراته.

وهكذا فالتاريخ الثقافي رحلة في بواطن التاريخ الاجتماعي والفكري والديني لمجتمع ما عبر أجياله المتلاحقة، بقصد إمداد المجتمع الحاضر بدفع معنوي ومادي زاخر يسهم في تحويله إلى الأفضل. وبما أن الحق تبارك وتعالى رسم منهج التعارف والتعاون والتواصل أساسا للتعایش بين الأمم والشعوب والقبائل، فإن بغيا به تنحرف البشرية في الهاوية، من هنا فإن الإسلام يدعو إلى التعارف والتسامح والعفو والصفح والتواصل، ولعله من نافلة القول أن إمبراطورية كانم برنو والخلافة العثمانية حظيتا بتواصل حضاري فريد من نوعه، وتوافق في العلاقات الإنسانية الإسلامية، من هنا فإن الورقة تناقش بعد المقدمة ثلاثة مباحث، الأول حول دخول الإسلام في كانم برنو، والثاني اهتمام الخلافة

لا شك بأن الأمم والشعوب تتباهى بكثرة ما تملكه من رصيد ثقافي ومعرفي وحضاري وما تتميز به من إرث فكري يدل على أصالتها وعمق جذورها في التاريخ الحضاري للمجموعة البشرية، ولذلك نراها تجتهد في إحصاء ما لديها من صنوف التراث وتستقري ذلك بدقة متناهية داخل الوطن وخارجه، فهي تعد فهارس المخطوطات وترجم لمن صنعوا رصيدها العلمي عبر العصور، وتضع أسماؤهم على معالمها الحديثة، بل ترفعها إلى الكواكب الأخرى، كما فعلت بتسمية المواقع على سطح القمر، إظهارا لاعتزازها بصانعي التراث الإنساني عبر العصور. وسبيل التتبع لأجداد الأمة في هذا المجال هو التاريخ الثقافي والتوثيق العلمي الذي يسجل الأحداث والآثار على اختلاف طبيعتها، فيعرف بها ويفسر ظواهرها، ويستشف أبعادها الإيجابية، وظلالها السلبية، لكي يضع المجتمع الجديد أمام إرثه الإنساني، وسيرته العلمية وتجارب

العثمانية بنشر الدين الإسلامي، والمبحث الثالث يناقش التواصل الحضاري بين الإمبراطوريتين، ثم الخاتمة.

أولاً: دخول الإسلام في أمبرطورية كانم برنو:

يبدو أن أغلب الدراسات التي تناولت دخول الإسلام في أمبرطورية كانم برنو، تشير إلى أنه من الصعب تحديد الفترة الزمنية، التي حل بها الإسلام لبرنو، لدرجة قال فيها أحد الباحثين: «لم يتفق المؤرخون على تاريخ محدد لدخول الإسلام إلى هذه الإمبرطورية، كما أنهم لم يتفقوا أيضاً على شخصية من أدخله ونشر تعاليمه بين الناس في كانم برنو» وبما أن نيجيريا تعد من أقدم الدول التي حظيت بنور الإسلام منذ وقت مبكر، بفضل الممالك الإسلامية التي قامت في أرضها، مع إنها لم تكن بهذه التسمية، وأمبرطورية كانم برنو التي تعد جزءاً من أرض نيجيريا أعرق أمبرطورية عرفتها المنطقة، والتي امتدت حتى مشارف حدود ليبيا، وقد كان الصحابي الجليل عقبة بن نافع ممن جاب هذه المنطقة وعمل على نشر رسالة الإسلام فيها، أما بلاد هوسا فقد دخل إليها عن طريق الممالك التي تعاقبت على المنطقة الواقعة ضمن حدود ما يسمى بالسودان الغربي قبل مجيء الاستعمار، أو عن طريق القبائل العربية التي جابت منطقة كانم برنو، لأسباب مختلفة، بعضها لطلب الكلا والماء، وبعضها للدعوة وبعضها للتجارة، وأول ملك أسلم من مملكة كانم هو الملك «أومي» أو «حومي» الذي ملك في أواخر القرن الحادي عشر، يقول الشيخ إبراهيم الصالح الحسيني الذي أرّخ لهذه المنطقة في سفر أسماه «تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبرطورية كانم برنو» ويدل مخطوط قديم حصلت عليه على أن الملك انتقل إلى الفرع الإسلامي حوالي ١٠٨٧ وحتى ١٠٩٧م، وهو عام ٤٨٠ هـ. أما دخول الإسلام المنطقة فلا شك أنه سابق لهذا التاريخ، والذي ثبت على وجه التحقيق هو أن من لقّن هذا الملك الشهادتين هو «محمد بن ماني» العربي.

وهناك دعاة متفرقون لا يملكون حولاً ولا طولاً، إلا إيمانهم العميق برهم». هذا وقد حمل الإسلام إليها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، من حملة الدعوة والمبشرين بالسنة المحمدية وبصفة أخص: أتباع إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمته الله، وخصوصاً أولئك النفر الذين اشتهروا بالزهد والتسك من السائرين على طريق الجنيد بن محمد القواريري البغدادي الذين عرفهم العامة باسم (السادة الصوفية).

وكانت انطلاقة حمل رسالة الإسلام إلى إفريقيا منبع حضاري ومرجع تجاري اجتماعي فأتاح للمناطق المختلفة صلات التزاوج والجوار والثقافة وتبادل السلع والمنافع وحمل اللغة العربية على الانتشار في أوسع نطاق، حيث أصبحت اللغة العربية وسيلة تحفظ التراث الإفريقي وكما حمل الدعوة إفريقيا الإسلام حملوا عادات وتقاليد حسنة في السلوك والمعاملة، واختلطوا مع السكان المحليين في مدنهم وقراهم، واستقروا بينهم وتزاوجوا معهم وبثوا فيهم الحضارة الإسلامية.

ثانياً: اهتمام الخلافة العثمانية بنشر الدين الإسلامي:

خلال فترة الخلافة العثمانية أصبح الإسلام مرتكزا أساسيا للدولة في مجال الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والمادية وغير ذلك، وتعبيراً عن احترام الأتراك للإسلام فقد اهتموا بالعربية اهتماماً هائلاً، ونتيجة لذلك تميزت عملية تدريس اللغة العربية في عهدي السلاجقة والدولة العثمانية مما جعل لها طابع المناهج الاتباعية التي تدرس فيها قواعد الصرف والنحو، بهدف فهم الآيات القرآنية فضلاً عن ذلك، فإن إرسال الولاة ورجال الدين إلى البلاد العربية زمن الدولة العثمانية ساعد في تعليم اللغة العربية،

فقد أبدى العثمانيون احتراماً كبيراً لشعائر دينهم الحنيف، وقيمه الحضارية الإنسانية، فقد عملوا جاهدتين على تبليغ هذا الدين وتحبيبه إلى الناس بطرق

وقد ذكر الدكتور علي محمد الصلابي، في تمهيد كتابه (الدولة العثمانية - عوامل النهوض وأسباب السقوط)، أنه لم يتورع المؤرخون الأوروبيون واليهود والنصارى والعلمانيون الحاقدون بالهجوم على تاريخ الدولة العثمانية، فأستخدموا أساليب الطعن والتشويه والتشكيك فيما قام به العثمانيون من خدمة للعقيدة والاسلام، وسار على هذا النهج الباطل أغلب المؤرخين العرب بشتى انتماءاتهم واتجاهاتهم، القومية، والعلمانية، وكذلك المؤرخون الأتراك الذين تأثروا بالتوجه العلماني، فكان من الطبيعي أن يقوموا بإدانة فترة الخلافة العثمانية، فوجدوا فيها كتبه النصارى واليهود ثروة ضخمة لدعم تحولهم القومي العلماني في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى، كان الموقف من التاريخ العثماني بالنسبة للمؤرخ الأوربي بسبب تأثره بالفتوحات العظيمة التي حققها العثمانيون، وخصوصاً بعد أن سقطت عاصمة الدولة البيزنطية (القسطنطينية) وحوّلها العثمانيون دار إسلام واطلقوا عليها اسلام بول (أي دار الاسلام)، فتأثرت نفوس الأوربيين بنزعة الحقد والمرارة المورثة ضد الاسلام، فأنعكست تلك الأحقاد في كلامهم وافعالهم، وكتابتهم وحاول العثمانيون مواصلة السير لضم روما الى الدولة الاسلامية ومواصلة الجهاد حتى يخترقوا وسط اوربا ويصلوا الى الاندلس لإنقاذ المسلمين فيها، وعاشت أوروبا في خوف وفزع وهلع ولم تهدأ قلوبهم إلا بوفاة السلطان محمد الفاتح.

وكان زعماء الدين المسيحي من قساوسة ورهبان وملوك يغذون الشارع الأوروبي بالأحقاد والضغائن ضد الاسلام والمسلمين، وعمل رجال الدين المسيحي على حشد الأموال والمتطوعين لمهاجمة المسلمين، وكلما انتصر العثمانيون على هذه الحشود ازدادت موجة الكره والحقد على الاسلام وأهله، فأتهم زعماء المسيحيين العثمانيين بالقرصنة، والوحشية والهمجية، وعلقت تلك التهم في ذاكرة الأوروبيين.

شتموا، فشيّدوا على المثال المساجد العظيمة التي تهوي الأفتدة إليها وتنبعث فيها الراحة والطمأنينة، ثم أنهم اعتنوا اعتناء شديداً بالقائمين على هذه المساجد من مؤذنين ومقرئين يتمتعون بأصوات جميلة ندية تخشع لها القلوب، و يتقنون في الوقت نفسه المقامات والإيقاعات الصوتية كلها.

ومما يؤكد اهتمام الدولة العثمانية بالدين الإسلامي فإنه منذ تأسيس الخلافة العثمانية وجميع الكتب المقررة داخل المدارس العثمانية هي كتب عربية، ولذا فإن جميع الأنشطة والمنتجات العلمية والفكرية كانت تتم بهذه اللغة.

ومن أعمالها الجبارة التي لا غبار فيها وكانت عملية عظيمة انشرح لها قلوب المسلمين، ما قام به السلطان محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية، واستحق لقب الفاتح، واهتم بضريح الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، الذي استشهد عند أسوار القسطنطينية في أولى محاولات المسلمين لفتحها في القرن الأول الهجري ثم دفن بها، وعندما جاء السلطان محمد الفاتح التمس ذلك من الشيخ شمس الدين وهو أحد الصالحين الذين رافقوا السلطان في حملته الموفقة، وكان قد بشره بفتح المدينة، ولما أرشده من موضع القبر، قال له السلطان: التمس منك يا مولانا أن تريني علامة أراها بعيني ويطمئن بذلك قلبي، فقال الشيخ أحفر في مقدار ذراعين يظهر لكم العلامة التي تريدونها، فلما حفروا ظهر رخام عليه خط عبراني، فقراه من يعرفه وفسره فإذا هو قبر أبي أيوب الأنصاري، فأمر السلطان محمد الفاتح بأن تبني قبة فوق القبر، وألحق بها جامعاً وحجرات.

وبما أن الإسلام هو دين الدولة العثمانية فقد ازدادت أهمية اللغة العربية يوماً بعد يوم، في النواحي التجارية والسياحية والعلاقات الدولية، وهو ما يجرنا إلى العلاقات والتواصل الحضاري بين الأمبراطوريتين.

غير أن الدولة العثمانية بكل هذه الهجمات والتحديات التي واجهتها استمرت في نشر الإسلام وقد وفقها الباري ﷻ في تحقيق الكثير من أهدافها.

ثالثاً: التوافق والتواصل الحضاري بين الإمبراطوريتين في حماية الدين.

تشارك الإمبراطوريتين في الاهتمام بالدين الإسلامي واللغة العربية، والتعليم والقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة، والشعائر الدينية الحنيفة، وتتواصل من خلال التجارة والتبادل المعرفي

والثقافي، وبما أن إمبراطورية كانم برنو تعرفت على الإسلام في القرن الأول

الهجري، فإن الإسلام قد هباً إلى المناطق الإفريقية التي دخلها أن

تتصل بالحضارة الإسلامية في وقت مبكر، فقد أحدث هذا

الدين الجديد نشاطاً ثقافياً وحراكاً اجتماعياً، ونشاطاً

اقتصادياً عظيماً، فأتاح للمناطق المختلفة صلات

التزواج والجوار وتبادل السلع والمنافع، فيما بينها.

وكان للدولة العثمانية وجود

وحضور في منطقة الشمال الإفريقي

والمغرب العربي منذ سنة (١٥٥١م)

وأما مصر فإن الوجود العثماني فيها كان أقدم

من ذلك التاريخ، إذ يرجع إلى سنة (١٥١٦م)، واحتل

الجيش العثماني أجزاء من فزان التي كانت خاضعة لحكم وسلطنة إمبراطورية كانم برنو، وهو ما أثار

حفيظة إمبراطورية كانم برنو، من النوايا العثمانية، غير أن التواصل الحضاري والاجتماعي والثقافي والتجاري

ما بين الشعوب الإفريقية وما جاورها من الدول كسر كل الحواجز والتوجهات السياسية في المنطقة، مما

جعل الباب مفتوحاً أمام الإمبراطوريتين للتعاون .

ونتج عن ذلك تطور في التواصل الحضاري، وازدهرت حركة التبادل التجاري بين الإمبراطوريتين، وتوسعت إلى درجة التعاون والتفاهم، والناظر إلى الوثائق المتبادلة فيما بينهما يدرك مدى توسعها في حماية التجارة وتواصل الشعوب المتاخمة للصحراء والدول الإفريقية السمراء بالدولة العثمانية، فقد ذكر الباحث صلاح الدين حسن السوري، أن حركة التبادل التجاري بين الإمبراطوريتين توسع إلى التعاون فيما بينهم، وانتقل إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية، وأحدثت هذه العلاقة حركة عمرانية تمثلت

في مد الجسور عبر الصحراء، وإزدهار

المدن والمراكز التجارية في أعماقها

وتحقيق الأمن والطمأنينة فيها،

والأهم من ذلك كله العلاقات

الإنسانية التي ظهرت في

حسن التعامل وتبادل الثقة

وحل المشاكل بالأساليب

السلمية. الأمر الذي طمأن

الحكام في إمبراطورية كانم

برنو.

ومن المعروف أن هذا التوسع

يثمر في التعارف، ويسهم

في إرثاء الحضارة الإسلامية في

المنطقة، بل ويفتح باب التبادل

والتواصل الاجتماعي، من خلال طمأننة

حكام إمبراطورية كانم برنو الإسلامية بعدم

غزوها أو الاستعلاء إلى أراضيها، وهو ما سعت

إليه الدولة العثمانية لمعرفة أصالة الدين الإسلامي

بالإمبراطورية، وفي رسائل متبادلة أكدت الحكومة

العثمانية بأن ليس لها أطماع سياسية في برنو، إنما

مقاصدها تقتصر على بناء جسور المحبة والصداقة

بين البلدين المسلمين، كان هناك حرص على تنمية

هذه العلاقات وتطويرها وتقويتها، فكانت السفارات

هناك ثلاثة

روايات تؤكد دخول الإسلام إلى بلاد السودان في فترة مبكرة جداً من تاريخ الإسلام ذاته وهي:

١. رواية «ابن رسته» التي تؤكد بأن عمرو بن العاص ﷺ هو أول من نشر الإسلام وأدخله إلى بلاد السودان، وكان ذلك في سنة (23هـ)

٢. أما الرواية الثانية فهي رواية «أبو القاسم» فإنه يرى بأن فتح إفريقيا وبلاد السودان تم على يد سيدنا «عقبة بن نافع الفهري» ﷺ وذلك سنة 43هـ.

٣. والرواية الثالثة والأخيرة

للبيكري، وهي قرية من

السابقة فقد اعتمد

سنة 46هـ

والرسائل المتبادلة والمستمرة بين البلدين من رسائل السياسة، وبطبيعة الحال كانت تتضمن الاهتمام بالتجارة وتأمين الطرق وتيسير الأمور بما يعود نفعه على الطرفين، وكانت عبارات التعظيم والتفخيم وإظهار الاحترام تنمق بعناية، وتستخدم فيها المحسنات البديعية التي تميزها عن الرسائل الشخصية العادية والادارية الرسمية.

لقد توسع التبادل التجاري والتبادل الثقافي والتواصل الحضاري بين أمبراطورية كانم برنو والدول المجاورة لها، خاصة مع دولة مصر العربية، «فالإسلام جاء إلى كانم برنو عبر بوابة مصر وجاء بالعلم والحضارة والثقافة وبشر ببزوغ فجر جديد في العلاقات الإنسانية خاصة بين شعب كانم برنو وشعب مصر وعمل على فتح قنوات الاتصال أمام شعب كانم برنو على الحضارة الإسلامية المصرية التي استفاد منها كثيرا في تطوير حياته العلمية والثقافية».

وهكذا جميع دول الشمال الإفريقي ومع دول الخلافة العثمانية، التي أظهرت نواياها في التعاون والتبادل بينهما.

ففي إحدى الوثائق المؤرخة ٢٧ شعبان سنة ١٢٨٦، صدر قرار مجلس إدارة الولاية يؤكد أهمية التجارة بين الولاية وبرنو، ويقرر رصد مبلغ لإرسال هدية مناسبة صدرت فيها إرادة سلطانية لحاكمها عمر الكانمي، وإن يقوم بحمل الرسالة والهدية شخص ذو اعتبار يحمل لقباً شرفياً، وتم ذلك بالفعل، والرسالة تحمل تاريخ ٢ رمضان سنة ١٢٨٦، وكانت مفعمة بعبارات التبجيل والتعظيم والاشادة بفضل عمر الكانمي ومكانته، وكانت تتضمن أيضاً الاهتمام بالتجارة وتنميتها وتأمين طرقها وضمان أمنها، ويضيف الدكتور صلاح الدين السوري، أن سعيها من الطرفين في الحفاظ على هذه العلاقات الطيبة في السنوات اللاحقة، ففي رسالة من والي طرابلس أحمد باشا مؤرخة في ٨ محرم سنة ١٣٠٠ إلى حاكم برنو

الشيخ أبي بكر بن عمر الكانمي يفيد بوصول كتابه وهديته إلى السلطان عبد المجيد الثاني، ويعبر فيها عن شكر السلطان وامتنانه وإشادته بالروابط الطيبة وحسن الجوار والتضامن بين المسلمين، وأهم ما في الرسالة التأكيد على ضرورة الاهتمام بالتجارة وحمايتها وتسهيل أمرها.

الخاتمة:

لقد تناولنا في هذه السطور التواصل والعلاقة الوطيدة بين الأمبراطوريتين، ومدى تأصيلهما وتعاونهما في تسهيل الحركة التجارية وتبادل البضائع وانتقال السكان من منطقة إلى أخرى، فقد فتح هذا التواصل أبعاد اجتماعية فريدة من نوعها، حيث سمح بالتزاوج والاندماج في سكان الإمبراطوريتين، حيث أننا نجد في واقع المجتمع البرناوي إلى هذه اللحظة تأثر واضح لتلك العلاقة، فقد تجد حي بأكمله اسمها (فزان) في وسط مدينة ميدغري، بولاية برنو بنيجيريا، وهو أيضاً اسم لمنطقة كبيرة في الجنوب الليبي، مما يوحي بانتقال مجموعة من الأسر العربية الليبية إلى الاستيطان في هذا الحي في برنو، ولقب الحي باسم هذه العائلات، والتي لها بقايا إلى الآن في برنو، واندماج الكثير منهم في البيئة، فأصبحوا من أبناء نيجيريا، يحملون اسمها وهويتها وساهموا في عملية البناء والتطوير في المجتمع. إن هذا التواصل الحضاري بين الأمبراطورية العثمانية وإمبراطورية كانم برنو، يؤكد مدى إرساء دعائم المحبة والصداقة، بل أثمر هذا التواصل في علاقات سياسية متينة وساهم في حل المشاكل بالوسائل السلمية، كما جلب فوائد ومصالح اقتصادية وكنوز معرفية بين الدوليتين، من هنا فإنها تجربة فريدة من نوعها وملیئة بإنجازاتها. فكان الحديث عن ثلاثة نقاط أساسية: الأولى حول الإسلام في إمبراطورية كانم برنو، والثانية حول مكانة الإسلام عند الأتراك، والثالثة حول التواصل الحضاري بين الأمبراطورية والخلافة العثمانية، والله الموفق.

عِزَّةُ الْمُؤْمِنِ

إسماعيل لطفي تشكان

قال الله تعالى:
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾
(المنافقون: ٨)

المعرفة ومقدار الوعي:

كثيرة هي معاني كلمة العزة التي يقول القرآن الكريم إنها من صفات الله جل جلاله، ويشير إلى أنها تحتل مكانة هامة في العلاقة بين المؤمنين وغير المؤمنين، فمن هذه المعاني:

الشرف والرفعة والقوة والمكانة السامية والانتصار والهيبة.

وتُعرَّف عزة المؤمن على أنها شرفه وهيئته. وإذا ما استبدلنا كلمة المؤمن بالمصدر المشتق منه؛ أي الإيمان تصبح الجملة "عزة الإيمان" والعزة بهذا المعنى: "الأصالة النابعة من الإيمان" وهذه هي العزة الحقيقية.

وجاء ذلك في الآية الكريمة:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾
(آل عمران: ٢٦)

حيث تشير الآية إلى المصدر الحقيقي للعزة، وفي الآية الكريمة التالية:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)

إشارة أيضاً إلى المصدر الوحيد للعزة التي يطلبها الإنسان وإلى المكان الذي يجب عليه البحث فيه عن

فالمعنى الذي عبرت عنه الآية المذكورة أعلاه "أَعَزَّةٌ" يقابلها في الآية الأخرى كلمة "أَشَدَّاءُ". وهذا يعني "أن معاملته الكافرين بوقار وبشيء من القسوة والعنف" إنما هو سلوك تفرضه عزة الإيمان.

ونجد إشارة في الآيتين الكريمتين نفسها إلى أن العزة المنبعثة من إيمان المسلم هي العزة الحقيقية الأصيلة التي تقتضي التعامل بتواضع ورحمة مع المؤمنين، وأي تصرف خارج عن هذا الإطار لا يليق بعزة الإيمان على الإطلاق. ذلك أن إظهار القوة أمام المسلمين أو أمام الضعفاء، والخنوع أمام الأعداء أو الأقوياء ليس بالتصرف الذي يسلكه المسلم أبداً. وقد وصف الشاعر التركي محمد عاكف أرسوي بكثير من الحزن هذه الحالة بأنها "مذلة ما بعدها مذلة" قائلاً: يبدون أسوداً من الخلف ومن الأمام ما هم إلا قطط متملقة. لم يرَ الإسلام البتة قبلنا مذلة كهذه المذلة!



إن الهزيمة لا تعني دائماً فقدان القوة والأصالة والعزة. فمن يتمتع بالقوة والرفعة يمكن له أن يتعرض للهزيمة في بعض الأحيان إلا أن هذه الهزيمة لا تغير الحقيقة، ولا تطغى على الأصالة والعزة الحقيقيتين النابعتين من الإيمان. وهذا ما حدث في غزوة أحد حيث هُزم المسلمون ظاهرياً فخاطبهم الله تعالى مواسياً ومؤكداً هذه الحقيقة التي لا تتبدل:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)

وفي آية كريمة أخرى نرى إثباتاً قاطعاً على ذلك بقوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥)

العزة. وفي آية كريمة أخرى موجهة للرسول عليه الصلاة والسلام:

﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (يونس: ٦٥)

دلالة على أن الادعاءات المغرضة لا تضر عزة المؤمن.

وتدل الآيتان الأخيرتان على أن العزة لله تعالى ولكن هذا لا يعني أن امتلاك البشر لهذه الصفة ومقوماتها أمر مستحيل، بل على العكس إن كل عزة أو شرف أو رفعة يمكن أن يتسم بها الإنسان إنما هي من الله تعالى، ولا يمكن أن تكون هذه الصفات أصيلة لدى شخص إلا إذا وعي هذه الحقيقة.

ويتجلى ذلك واضحاً في الآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (النافقون: ٨)

البعد السلوكي: إن كلمة العزة تعني من جانب آخر المكانة المرموقة للشخص في المجتمع، فكل من يمتلك قوة اقتصادية وتأثيراً اجتماعياً يعدُّ صاحب عزة (العزة الظاهرية).

وفي هذا السياق تستخدم كلمة "العزة" مناقضة لكلمة "المذلة" التي تعني العجز والضعف والانحطاط. ويتجلى ذلك في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤)

ونجد تعريفاً للصحابة الكرام في الآية التالية:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)

كما وردت كلمة العزة في آيات أشارت إلى موقف الكافرين والمنافقين من الإسلام حيث بدوا متكبرين ومتغطرسين ومعاندين ومتعجرفين. ومثال على ذلك ما جاء في الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ (البقرة: ٢٠٦)

السعي من أجل العزة: كل من يلجأ إلى غير الله تعالى

ويجعل من المخلوقات إلهاً يطلب منه العزة، يقع في الخطأ ولن يفلح سعيه وهذا ما تؤكد وتعلنه الآية الكريمة:

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم: ٨١)

فلا ريب أن السعي للبحث عن العزة والشرف في غير مكانها سيذهب أدراج الرياح، إلا أن منطق الكفر لا يعي هذه الحقيقة، ويبيّن حال الكافرين قوله تعالى:

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ. بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (ص: ٢-١)

حيث توضح الآية الكريمة أخطاءهم السلوكية والنفسية.

إن السعي إلى العزة والتمتع بها أمر جميل بلا ريب، ولكن على أن يتم ذلك بالتوجه إلى الله تعالى صاحب العزة الحقيقية وأن تكون تلك العزة

نابعة من الإيمان، وكما قال الشاعر عاكف أرسوي بحزن كبير وبصوت مكلوم: "الإسلام دين العزة" وقال: "يا جموع المسلمين! إنما هذا الدين الميين الذي أقررنا به في عالم الأرواح هو دين العزة، دين العظمة، دين السعادة. وليس دين المذلة، ليس دين المسكنة وليس دين البؤس." (محمد عاكف أرسوي، الوعظ والتفسير، ص.

٣٠٤، منشورات رئاسة الشؤون الدينية التركية، أنقرة، ٢٠١٢)

إذا ما أنتهكنا اليوم، فلأننا نستحق الانتهاك

انظر!... أين هي عزتنا أين هي أخلاقنا؟

إن الأشخاص والجماعات والحكومات الإسلامية الذين تركوا المسلمين جانباً وبحثوا لأنفسهم عن العزة والمكانة على المستوى العالمي في الأوساط والمجموعات غير المسلمة، قد وقعوا في خطأ كبير يشابه خطأ غير

المؤمنين الذين أشارت إليهم الآية الكريمة أعلاه. وهذا التصرف مخالف تماماً للقواعد الأساسية لعزة المؤمن. إن النهج الفكري الذي يليق بالمسلم يتمثل بما قاله المرحوم محمد حميد الله: "إن أخانا المسلم الأكثر إثماً أقرب إلينا من الكافر". والتصرف خلافاً لذلك سيعني ترك المسلمين أصحاب العزة الحقيقية، والتواطؤ مع أعداء الإسلام ضدهم، والتحول إلى المنافقين الذين يسعون إلى محاربة المسلمين وخيانتهم. والآية الكريمة الآتية قد وصفت المنافقين واستهجن أفعالهم وحذرت منهم:

﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُوا عَنْهُمْ

الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٣٩)

هذه الحقائق دفعت أحد أحباب الله ليجيب مسلماً استوقفه في الطريق طالباً منه الدعاء لأمة محمد بالنجاة، إلى القول:

"يا بني أرنى أمة محمد أولاً حتى أدعو لها بالنجاة." فها أيها المؤمنون... هيا يا إخواني... هلموا بنا معاً إلى الإسلام من جديد، إلى الإيمان من جديد، إلى العزة من جديد، إلى الهيبة والسعادة... إلى الرحمة والمغفرة...

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ} (المنافقون: ٨)
"فجعل العِزَّةَ صِنُو

الإيمان في القلب المؤمن؛
العِزَّةُ المستمدة من عِزَّة
تعالى، العِزَّةُ التي لا تهون ولا
تهن، ولا تنحني ولا تلين،
ولا تُزِيل القلب المؤمن
في أخرج اللحظات، إلا أن
يتصعصع فيه الإيمان، فإذا
استقرَّ الإيمان ورسخ، فالعِزَّةُ
معه مستقرة راسخة؛ {وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}، وكيف
يعلمون وهم لا يتدوَّقون
هذه العِزَّةَ، ولا يتصلون
بمصدرها الأصيل؟! "

(في ظلال القرآن)

فلسفة الله



صالح زكي مريتش

كلها تقول: "الله". فقول: "الله" يهب الوجود ماء الحياة في كل نفس. إن البذور التي تنمو تحت التراب، والماء المتسلل إلى الأغصان، والجذور التي تشق الصخور... كلها تقول: "الله".

الأصوات تردد دوماً: "الله"... ثمة طرق بعدد الأنفس، وفي كل منها هناك الله، في كل نظرة وفي كل وقفة...

الإنسان مخلوق ينسى ويتمرد. كيف للإنسان أن ينسى الله وكل شيء يقول الله!



"ماذا فقد من وجده وماذا وجد من فقده"

أيها الإنسان!

أنت أجمل المخلوقات وأشرفها. أنت المخلوق الاستثنائي الذي نال شرف معرفة ربه وعبوديته. كل شيء في عالم الوجود خلق لأجلك منذ آدم عليه السلام. أنت من وهبك ربك النعم.

أيها الإنسان!

أنت المخلوق الوحيد العاقل المتفكر المتذكر في عالم الوجود.

إيمانك يهبك المعنى، وإحسانك يضيفي نكهة على إيمانك.

قل: "الله" كلما شعرت بضيق؛

قل: "الله" كلما وقعت في مأزق!

قل: "الله" كلما ضاق صدرك!

قل: "الله" كلما أصابك الحزن!.

"الله" دواء كل داء. كل ضيق في نهايته فرج، وكل حزن يتبعه الفرح.

الله؛ في كل حرف من هذه اللفظة معنى، وفي كل مقطع دواء لكل داء.

الله؛ مالك الوجود والعدم، ومالك الممكن والمحال، ومالك النقطة والفاصلة والذرة والكلي والجزئي. من كان الله مولاه فما حاجته لمولى سواه!

الله؛ الاسم الأعظم، جمع في ذاته كل الصفات الخاصة بالألوهية، وهو ذات لا يمكن - ولو للحظة - افتراض عدمها. الله، عنوان ذاته وأسمائه. الله، الاسم الأسمى.

إذا نطق اللسان عشقاً وقال مرة: "الله"، تتساقط الذنوب جميعاً كأوراق الخريف يسم الله تحيي القلوب وتضيء العيون، إذا قال اللسان بعشق مرة: "الله". عالم الوجود وعالم العدم يقولان دائماً: "الله". انظر حولك! هل من شيء إلا يسبح باسمه؟ هل من شيء حولك بلا روح؟ الجبال والحجارة والأشجار والبحار والغيوم



الله يدعوك لتأتي إليه خطوة خطوة.

لقد أوجد الله في العالم السرمدي حياة، وفي هذه الدنيا أوجد عالماً آخر هو الإنسان؛ إنه أنت.

قدرة الله لا متناهية، وحكمته لا متناهية، ورحمته لا متناهية، ونعمته لا متناهية.

أيها الإنسان عليك أن تذكره بحمدك وشكره، وأن تحيا باسمه وتحرق بمحبته.

لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)

وفي آية كريمة أخرى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾

(الأحزاب: ٤١)

أيها الإنسان!

لقد وهبك الله قلباً عليه أن يذكره وألا يدخله أحباءٌ آخرون سواه، وألا يذكر اسماً آخر غير اسمه... لقد منحك الله تعالى قلباً قادراً على أن يكون مكاناً تعمّره به. فالقلب إنما هو المكان الوحيد الذي يُقَلَّب فيه الإنسان ويُشكّل فيه على شاكلته. القلب مركز حساس تعشش فيه الأمراض والكره والحقد والحسد.



أيها الإنسان!

قل: "الله" بقلبك! قل: "الله" بفؤادك! قل: "الله" بلسانك! قل: "الله" بفكرك! قل: "الله" بعملك!

هلم ليفيض قلبك محبةً لربك... وليدمي قلبك في الصحارى القاحلة...

هلموا بنا جميعاً لنقول: "الله" قبل أن نقول: "واحسرتاه".

بدرهمين، ولم يكن يلبس خفين ولا عمامة، وكان كثير



اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

✦ سميح يول آشان ✦

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ (الزخرف، ٣٦-٣٧)

وعندما يقع الذين حادوا عن جادة الصواب فريسة لهذه الأوهام، تراهم يقولون للأنبياء الذين يدعونهم إلى الله تعالى الواحد الأحد الذي لا ريب في وجوده:

﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾

(ص، ٥)

معتقدين أنهم بقولهم هذا يدافعون عن الحق. لا بل تراهم - فوق ذلك - يتبجحون بأنهم ما زالوا في المستنقع الذي يتخطون فيه، ويفرحون بذلك قائلين:

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾

(الفرقان، ٤٢)

غدا الإنسان منذ خلقه ممثلاً على مسرح العالم حيث يتصارع الخير والشر، في هذا المسرح يختار جميع الممثلين بإرادتهم أن يكونوا إما إلى جانب الحق أو إلى جانب الباطل، ويحاولون لعب أدوارهم على أتم وجه. ولا شك أن سعي الإنسان ليكون إلى جانب الحق أمر طبيعي، غير أنه من العسير فهم سبب توجه الإنسان للسير على درب الباطل؛ لماذا يصر الإنسان على أن يكون من أهل الباطل؟ وما الذي يدفعه إلى ذلك؟

إن الإنسان يضل الطريق عندما يشيح بوجهه عن الأوامر الإلهية، لذلك ينغمس في مستنقع الكفر، فيفنى فيه ويمسي هذا المستنقع غذاءه، وعقله الذي يفكر، وعينه التي ترى، وأذنه التي تسمع، ولسانه الذي ينطق؛ لهذا زاغ محور الحق والباطل، وغدت كل الحقائق هذا المستنقع. وتعرض الآية الكريمة التالية لنا هذه الحقيقة:

إن من يسقط في مستنقع الباطل ينادي:

﴿وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ (الأنبياء، ٦٨)

عندما يرى تحطم الأصنام التي نحتها بيديه، والتي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق، ويسمع ذلك النداء لكنه يعجز عن إدراك أنه يعبد آلهة مسكينة هي نفسها بحاجة إلى مساعدته.

وقد يكون المستنقع مستنقع تكبر يدفع بإبليس إلى رفض السجود للإنسان والقول:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

(الأعراف، ١٢)

وقد يكون مستنقع غيرة كالتى أحاطت بقبائل من كل جانب، ودفعته ليقول لأخيه من أمه وأبيه:

﴿لَا قَتْلَكَ﴾ (المائدة، ٢٧)

أو تماماً كما حصل مع إخوة يوسف الذين قالوا:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ

أَبْيَكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف، ٩)

وقد يغرق بعضهم في مستنقع الجاه والمنصب، ويصابون بالجشع كالجشع الذي دفع بفرعون إلى نسيان مدى عجزه فادعى الألوهية وقال:

﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ (النازعات، ٢٤)

لقد خلط فرعون الحق بالباطل حتى إنه قال لمن حوله:

﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ

دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر، ٢٦)

وقد أصابَ نمرود الداء نفسهودفعه إلى مقارنة نفسه بالله تعالى - إن صح التعبير - والقول:

﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ (البقرة، ٢٥٨) متناسياً أنه مخلوق.

مستنقع الشهوات مستنقع آخر يمتحن فيه الإنسان،

هذا المستنقع الذي غرق فيه قوم لوط فقالوا لنبيهم عندما دعاهم إلى الحق:

﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (الحجر، ٧٠)

لقد أعمى الباطل أعينهم إلى درجة أنهم باتوا:

﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر، ٧٢)

وقالوا عن قوم لوط لما كفت عقولهم عن العمل:

﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾

(النمل، ٥٦)

إن حب المال عندما يتجاوز الحد، يُعمي الأبصار ويحجب الحق ويجعل الإنسان ينسى أن المال للملك الملك، لذلك يجيب قارون أولئك الذين نصحوه بأن:

﴿وَأَنْتَغِي فِيهَا مَا أَنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي

الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، ٧٧)

بقوله:

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (القصص، ٧٨)

لقد كانوا جميعهم متمسكين بدعاويهم الباطلة، ولم يتنازلوا أو يجيدوا عن طريقهم قيد أنملة، إلا أن الله تعالى ينهنا بقوله:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ

سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا﴾ (الكهف، ١٠٣-١٠٤)

ويضيف مخاطباً نبيه الكريم ﷺ:

﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام، ٩١)

وهذا بلا شك تحذير لأولي الألباب والفتوة السليمة يتعظون به.. فالله نسأل أن ألا تزل أقدامنا بعد ثبوتها، وأن يجعلنا في عداد عباده الذين يتبعون الحق ويجتنبون الباطل ويرون الحق حقاً والباطل باطلاً. آمين.



عن عطاء رحمته الله قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين، وأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا. (البخاري)

الدكتور: عمر جليك

قال ابن عباس ومجاهد: "على خلق": على دين عظيم من الأديان، ليس دين أحب إلى الله تعالى ولا أَرْضَى عنده منه.

وروى ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت:

(كان أحسن الناس خلقاً، كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ثم قالت: اقرأ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

إلى عشر آيات، فقرأ السائل، فقالت: هكذا كان

خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا وقائدنا وقررة عيوننا، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

اتصف نبينا عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، كيف لا وقد كان خلقه القرآن، كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، إذ بعثه الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين وقُدوة للمستقيمين، بشيراً للصلحين ونذيراً للمعاندِين، فقد اكتمل أدبه مع رب السموات والأرضين، وأهل بيته الطيبين، وصحابه الميامين، بل حتى مع الكفار المعاندِين، حتى زكاه الله سبحانه وتعالى في كل شيء وجمع له خصال الخير بقوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وقال علي ؑ: هو أدب القرآن .

وقيل: هو رفقه بأتمته وإكرامه إياهم.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله سبحانه وتعالى وينتهي عنه مما نهى الله سبحانه وتعالى عنه .

وقيل: أي إنك على طبع كريم. وهو الظاهر.

وحقيقة الخلق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب يسمى خلقاً؛ لأنه يصير كالخلق فيه . وأما ما طبع عليه من الأدب فهو الخيم (بالكسر): السجية والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخيم: اسم جبل. فيكون الخلق الطبع المتكلف. والخيم الطبع الغريزي .

وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال :

وإذا ذو الفضول ضن على المولى وعادت
لخيمها الأخلاق. ولا شك في أن أصدق شاهد
على عظمة أخلاق النبي ﷺ هو القرآن الكريم
وهو كلام الله سبحانه وتعالى:

﴿...ومن أصدق من الله قيلاً﴾ [النساء: ١٢٢]

ومهما قيل من ثناء على أخلاقه قديماً
وحديثاً فإن ثناء الله تعالى عليه في كتابه العزيز
يظل أدقّ تعبير وأصدق وصف لمواصفات
شخصيته العظيمة وخصائصها، وقد أشاد

القرآن الكريم كثيراً بأخلاق النبي ﷺ وكثرت فيه
الآيات التي تتحدث عن شخصيته وخصائصه وصفاته
الأخلاقية والإنسانية السامية. فقول الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

يعجز كل قلم وكل تصور وبيان عن تحديد عظيمته
فهو شهادة من الله سبحانه على عظمة أخلاق الرسول
وسمو منزلته وعلو شأنه في مجال التعامل مع ربه ونفسه
ومجتمعه، بناءً على أن الأخلاق مفهوم شامل لجميع
مظاهر السلوك الإنساني.

وقد تحدث القرآن الكريم في موضع آخر عن جانب
العفو والرحمة والرفق واللين والتواضع في سلوك النبي

ﷺ وتعامله مع الآخرين، فقال تعالى:

﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَآنَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

الآيات القرآنية أحياناً لها وجوه عديدة، فحينما أودع
الله في قلب النبي ﷺ هذه الرحمة، من نتائج هذه الرحمة
اللين مع عباد الله ﷺ، الرحمة تساوي اللين، والقسوة
تساوي الغلظة، الرحمة أساسها الاتصال بالله ﷻ،
اتصال، رحمة، لين، انقطاع، قسوة، فظاظة.

وهذه الآية قانون: بسبب الرحمة التي في قلبك لنت
لهم، هذه الآية لنا نحن المؤمنين، كلما حصلت على
مزيد رحمة من الله ﷻ لأن قلبك للناس، فترحمهم،
وتعفو عنهم، وتأخذ بيدهم، وتتجاوز عن
أخطائهم، وتتمنى لهم السعادة، بسبب هذه
الرحمة التي استقرت في قلبك عن طريق
الاتصال بالله ﷻ لنت لهم، ولو لم تكن في
قلبك هذه الرحمة لكنت قاسياً معهم،
فإذا كنت قاسياً معهم نفروا منك، انفصوا
عنك، آية دقيقة؛ اتصال، رحمة، جذب،
انقطاع، قسوة، نفور، إذا أردت أن يجتمع الناس حولك
فارحمهم، تواضع لهم، تجاوز عن سيئاتهم، خذ بيدهم،
أعطهم، ابذل لهم من وقتك، من جهدك، من علمك،
إذا أردت أن ينفص الناس من حولك كن قاسياً معهم.

ووصفت آيات أخرى رسول الله ﷺ بأوصاف
تكشف عن مدى تأثيره واهتمامه بالمسلمين وشؤونهم
وحرصه عليهم، وتعبر عن مدى عطفه عليهم وشفقته
ورحمته بهم، وكيف أنه حين كان يُصيب الواحد منهم
بعض المشقة والتعب فإنه عليه الصلاة والسلام كان
يحزن ويتألم ويحيم عليه علامات الآسى وتظهر في
ملامحه.



فقد قال تعالى في بعض الآيات:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وسموا أخلاق النبي ﷺ وعلو شأنه في مجالات الفضيلة وكرم النفس والنبيل والطهارة والرحمة والرفق واللين والتواضع إنها جاءت حصيلة إعداد إلهي خاص توافر لرسول الله ﷺ قبل الدعوة وواكبه بعدها. فقد صيغت شخصية رسول الله ﷺ قبل الدعوة من قبل الله سبحانه وفق تخطيط إلهي ليكون كفوءاً وأهلاً للرسالة الإلهية وتجسيدا حياً لها.

وبسبب تلك الرعاية الربانية الخاصة للرسول ﷺ تميزت شخصيته ﷺ عن جميع أبناء مجتمعة وصار علماً في سمو أخلاقه وهديه، ومضرباً للمثل في فضله وصدقه وأمانته، وقبل أن يتحدث القرآن عن عظمة أخلاقه فقد نطق الكفار والمشركون بهذه الحقيقة قبل أن يبعثه الله بالرسالة، فاتصاف النبي ﷺ بالخلق العظيم لم يكن وليد الفترة التي بُعث فيها، أو من إفرازات تلك المرحلة تماشياً مع أهمية الدور الملقى على عاتقه، لا ابتداءً، بل التاريخ يذكر أن النبي ﷺ كان ذا منزلة أخلاقية عظيمة في العهد الجاهلي وكان محل إعجاب قومه ومجتمعه وتقديرهم واحترامهم. بل ومضرب المثل في ذلك، وقد شهد الكفار أنفسهم لرسول الله ﷺ بالعفاف وصدق الحديث وأداء

الأمانة ونزاهة الذات. فقد روي

أن الأحنس بن شريف لقي

أبا جهل يوم بدر فقال

له: يا أبا الحكم ليس

هنا غيري وغيرك

يسمع

كلا منا ،

أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟! فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط.

وقال النضر بن الحارث لقريش: قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر؟ ألا والله ما هو بساحر.

اخلاق رسول الله ولما بعث رسول الله ﷺ إلى قيصر يدعوهُ إلى الإسلام، أحضر قيصر أباً سفيان وسأله بعض الأسئلة مستفسراً عن النبي ﷺ وما سأله قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال أبو سفيان: لا، قال: فهل يغدر؟ قال: لا، قال: كيف عقله ورأيه؟ قال أبو سفيان: لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط.

وروى الطبري المؤرخ المعروف قال: كانت قريش تسمي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي بالأمين.

وروي عن أبي طالب رضوان الله عليه في حديث له عن سيرة النبي ﷺ في الجاهلية قال: لقد كنت أسمعُ منه إذا ذهب من الليل كلاماً يعجبني، وكنا لا نسمي على الطعام والشراب حتى سمعته يقول: بسم الله الأحد، ثم يأكل فإذا فرغ من طعامه قال: الحمد لله كثيراً. فتعجبت منه وكنتُ ربما أتيتُ غفلةً فأرى من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السماء ثم لم أر فيه كذبةً قط ولا جاهليةً قط، ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك، ولا وقفَ مع صبيان في لعب، ولا التفتَ إليهم وكانت الوحدة أحبَّ إليه والتواضع.

فلهذا نرى أن شخصية رسول الله ﷺ قد مثلت قمة التسلسل بالنسبة إلى درجات الشخصية الإسلامية التي توجد عادة في مجتمع الإسلام، فكان ﷺ عظيماً في فكره ووعيه، وقمةً في عبادته وتعلقه بربه، ورائداً في أساليب تعامله مع أسرته وعائلته وفي تعامله مع أمته، ومثالياً في حسم الموقف، وفي الصدق في المواطن ومواجهة المحن، فما من فضيلة إلا ورسول الله ﷺ سابق إليها وما من مكرمة إلا وهو ملتزم بها.



مقتطفات من دروس:
الأستاذ: محمود سامي رمضان أوغلو



وفي حديث شريف آخر:
"إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة
نادى مناد:

- أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس
وهم يسير فينطلقون سراعاً
إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة
فيقولون:
- إنا نراكم سراعاً إلى الجنة،
فمن أنتم؟ فيقولون:
- نحن أهل الفضل. فيقولون:
- وما كان فضلكم؟ قالوا:
- إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسي
علينا غفرنا. قالوا:
- ادخلوا الجنة فنعمة أجر
العاملين. ثم ينادي مناد:
- ليقيم أهل الصبر، فيقوم ناس
من الناس وهم قليل فيقال لهم:
- انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم
الملائكة فيقال لهم:
- إنا نراكم سراعاً إلى الجنة،
فمن أنتم؟ فيقولون:
- نحن أهل الصبر. قالوا:
- وما كان صبركم؟ قالوا:
- كنا نصبر على طاعة الله وكنا
نصبر عن معاصي الله. قالوا:
- ادخلوا الجنة فنعمة أجر
العاملين".

[محمود سامي رمضان أوغلو، مصاحبة - ٦٤

ص. ٤٠-٤٥]

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال:
يا رسول الله جئت أسألك عما يغنيني في الدنيا والآخرة.

فقال له النبي ﷺ: سل عما بدا لك. قال:

- أريد أن أكون أعلم الناس. فقال ﷺ:
- اتق الله، تكن أعلم الناس. قال:
- أريد أن أكون أغنى الناس. قال ﷺ:
- كن قانعاً، تكن أغنى الناس. قال:
- أحب أن أكون خير الناس. قال ﷺ:
- خير الناس من ينفع الناس، فكن نافعاً لهم. قال:
- أحب أن أكون أعدل الناس. قال ﷺ:
- أحب للناس ما تحب لنفسك، تكن أعدل الناس. قال:
- أحب أن أكون أخص الناس إلى الله. قال ﷺ:
- أكثر ذكر الله، تكن أخص الناس إلى الله. قال:
- أحب أن يكمل إيماني. قال ﷺ:
- حسن خلقك، يكمل إيمانك. قال:
- أحب أن أكون من المحسنين. قال ﷺ:
- اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال:
- أحب أن أكون من المطيعين. قال ﷺ:
- أدفرائض الله، تكن من المطيعين. قال:
- أحب أن يرحمني ربي يوم القيامة. قال ﷺ:
- ارحم نفسك وارحم خلق الله، يرحمك ربك يوم القيامة. قال:
- أحب أن أكون أقوى الناس. قال ﷺ:
- توكل على الله، تكن أقوى الناس. قال:
- أحب أن تستجاب دعوتي. ﷺ:
- اجتنب أكل الحرام، تستجب دعوتك. قال:
- أحب ألا يفضحني الله على رؤوس الأشهاد. قال ﷺ:
- احفظ فرجك، كيلا تفتضح على رؤوس الأشهاد. [القرطبي]

حديث من بيتنا محمد



التضحية مقيا س المحبة

الإسلام دين التضحية والفداء:

حيث يقول الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ...﴾ (التوبة، ١١١) إن وصول هذا الدين الجليل إلى أيامنا هذه هو نتيجة للتضحيات الكبيرة التي بذلت بالمال، والروح، وكل الإمكانيات المتاحة الأخرى، والتخلي عن الراحة والمصالح الفردية كل ذلك في سبيل الله تعالى، وإننا اليوم وجهاً لوجه مع امتحان التضحية في سبيل الله تعالى.

لأن الله تعالى يقول في آية أخرى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ (البقرة، ٢١٤)

ويقول النبي ﷺ:

«مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره» (الترمذي، الأدب، ٨١)

ولذلك فحتى يكون المطر المبارك حاملاً في طيات قطراته الرحمة، ينبغي علينا اليوم التحلي بالغيرة الدينية والقيام بواجب هذا الدين بكل جد ونشاط، أين الضروري والواجب علينا إظهار التضحية في سبيل الله تعالى بأرواحنا، وأموالنا، وأفكارنا، وقوتنا، ووقتنا، وبكل الإمكانيات التي تفضل الله تعالى بها علينا. وذلك لأن الرحمة لا تأتي بسهولة، فلكل نعمة مقابل يجب تقديمه. وحتى النعم التي رُزقنا بها مجاناً وبدون جهد منا، لها دين الشكر للمنعِم ﷻ.

دين الشكر...

إن أكبر نعمة بعد الإيمان أُهديت إلينا هو بعثة سيدنا محمد المصطفى ﷺ، نبي آخر الزمان الذي جعله الله تعالى خاتمة الرسل والأنبياء الذين بلغ تعدادهم ما يزيد على ١٢٤ ألف.

وقد قال الله سبحانه وتعالى في هذا الخصوص كي ندرك قيمة وقدر هذا الفضل:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران، ١٦٤)

فيمكن للمؤمن أن يشعر بفرح استثنائي يغمر قلبه على الدوام بهذا الفضل الكبير، إلا أن عليه التيقظ إلى عظم المسؤولية الملقاة على كاهله والتي تستلزمها هذه النعمة الكبيرة.

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أراد منا بدلاً مقابل إعطائه هذه النعمة لنا، وإننا مجبرون على اتخاذ رسول الله ﷺ قدوة لنا في هذا المجال حيث عاش حياته كلها في تضحية مستمرة للإسلام.

وإن كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، فإن على المسلم أن يكون في حالة دائمة من نشر الرحمة بكل من يده ولسانه وقلبه. ويجدر بمن تشرف بالإسلام وبمظهر الإيمان وأصبح من أمة محمد ﷺ متمتعاً بنعم السعادة

ومشاعر الشكر، يجدر به بذل جهد كبير لأداء البذل مقابل هذه النعم.

ويبين النبي ﷺ واقع الأمر حيث يقول:

«المرء مع من أحب» (البخاري، الأدب، ٩٦)

ولكن مقياس المحبة هو التضحية، فمن يحب النبي ﷺ حقاً ويود صحبته يوم القيامة، فعليه إثبات محبته اليوم بالسير على نهجه والتضحية في سبيله.

كيف يمكن تحقيق القرب من الرسول ﷺ؟

لقد قدم النبي ﷺ تضحيات كبيرة في سبيل الخلاص الأبدي للإنسانية جمعاء، وتحمل محناً ومعاناة كبيرة، وبالرغم من كل ذلك فإنه لم يشك يوماً من حاله، ولم يتجهّم أبداً، ولم يبال بالجوع إذ ربط الحجارة إلى بطنه، وعلم أهل الصفة القرآن الكريم. وتذكر أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ:

«ما شبع آل محمد، منذ قدم المدينة، من طعام البرّ ثلاث ليال تباعاً، حتى قبض» (البخاري، الإيمان، ٩٦)

لو أراد النبي ﷺ لعاش هو وعائلته في شبع وراحة دائمة، ولكنه ﷺ ما إن يحصل على نعمة حتى يوزعها على الفقراء من أصحابه، ويشبع بها بطونهم، عوضاً عن إشباع نفسه.

وحتى في أحلك ظروفه المظلمة في الطائف وبعد أن تعرّض لما تعرض له من الظلم والاضطهاد، قال:

«يا أرحم الراحمين!.. إن لم يكن بك علي غضب فلا

أبالي» (ابن هشام، ٢، ٢٩-٣٠؛ الهيثمي، ٦، ٣٥)

لائال المعالي

بالأمان، ولا تقوم الدعوات إلا على ألوان البذل والتضحية بشئ صنوفها. وإذا عُرف أن ابتلاء الدعاة سنة ماضية تبين أن الدعوة الحقّة لا تقوم بلا تضحية. والتضحية شعبة من شعب الإيمان، وخير وسيلة لشكر نعم الله التي لا تحصى؛ لأنها استعمال للنعم في محبة الله ﷻ.

الرؤوس تحت وقع سيوفهم، طلباً لقراءة رسالة رسول الله ﷺ، لا شك أن كل ذلك مغامرة في الموت المحقق. إلا أنهم كانوا يتحلّون بالجسارة الإيمانية ويعبرون عن تضحياتهم في سبيل هذا الدين القويم.

وقد كانت اللحظات الأكثر قيمة وأهمية في نظر الصحابة رضوان الله عليهم، هي تلك الأوقات التي يتمكنون فيها من تبليغ رسالة التوحيد إلى الناس.

وقد شكر الصحابي الذي أُعطي مهلة ثلاث دقائق قبل تنفيذ الإعدام بحقه، شكر المشركين، وقال:

إذاً، مازالت لدي ثلاث دقائق من وقتي من أجل القيام بالتبليغ.

لقد انتشر الصحابة الكرام في بقاع الأرض المختلفة تاركين خلفهم بساتين النخيل اللذيذة والرائحة في المدينة المنورة. وقد خرجوا في سبيل تعريف الناس جميعاً بدن الإسلام الحق، خرجوا في رحلات طويلة ومرهقة، دون أن يظهرهم التهيّب أو يشعروا بالملل والتعب، رغم ظروف السفر الشاقة في تلك الأزمنة، فهذا هو السبب في أن قبور أولاد سيدنا عثمان والعباس ﷺ في سمرقند، وقبر وهب بن كبشة ﷺ في الصين.

لقد أرسل النبي ﷺ الصحابي وهب بن كبشة إلى الصين من أجل القيام بخدمة التبليغ، وكانت المسافة إلى الصين في تلك الفترات ما يقارب مسيرة سنة كاملة، وبعد أن ذهب وهب بن كبشة ﷺ إلى هناك، وأمضى مدة من الزمن في مهمة التبليغ، خرج في طريقه إلى المدينة المنورة على أمل أن يُهدئ حسرة بعده عن رسول الله عليه الصلاة والسلام برؤيته، ويطفئ نار الشوق التي أخذت تلهب قلبه. وبعد رحلته المليئة بالصعاب والمعاناة التي استمرت عاماً كاملاً وصل إلى

إن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين كان النبي ﷺ أحب إليهم من كل شيء في الدنيا، بذلوا جهوداً كبيرة للاقتداء به في حياتهم بالمشاعر والفكر، والحال والعمل في سبيل نيل صحبته يوم القيامة. وقد رأوا بأعينهم تضحيات نبينهم عليه الصلاة والسلام، فجاهدوا أنفسهم على بذل التضحيات مثله كلّ على قدر إمكانياته واستعداده، وقد سطرّوا محبتهم لله تعالى ولرسوله بالتضحية والفداء، واعتبروا أصغر رغبة لرسول الله ﷺ نعمة كبيرة لأرواحهم.

فأطاعوا الرسول ﷺ بعشق وشوق كبيرين معبرين بقولهم: «فداك روحي، ومالي يا رسول الله».

لقد بذلوا أرواحهم وأموالهم بسخاء في سبيل الله ورسوله، واعتبروا ذلك وسيلة سعادتهم الكبرى. وكانوا نموذجاً للاقتداء بالرسول ﷺ الذي عاشوا معه وخاصة بالجهود التي بذلوها في مجال الدعوة والتبليغ.

تضحيات التبليغ...

عندما قال النبي ﷺ لأصحابه:

من يأخذ رسالة التبليغ إلى الملوك؟ هبّ الصحابة جميعاً بشيهم وشبابهم. وقفوا على أقدامهم قائلين: يا رسول الله! تفضل بهذا الشرف عليّ!

ووضعوا نصب أعينهم بذل شتى أنواع التضحيات في سبيل تلبية أصغر رغبة للنبي عليه الصلاة والسلام، ولم يتذرعوا بأية معذرة لتجنب التضحية، وطلبوا الخدمة بأرواحهم وأجسادهم.

لا شك أن التوجه إلى بلاد بعيدة غريبة بخوض الطرق الجبلية الوعرة، وتحمل مشاق البراري والصحاري المقفرة، ومن ثم المثول أمام الملوك الجبابرة حيث يضرب جلاذوهم الرقاب وتتطاير



المدينة المنورة، ولسوء حظه العاثر أن النبي ﷺ كان قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يستطع رؤيته بعين الدنيا. ولأنه أدرك قدسية مهمة التبليغ عندما ودعه نبينا ﷺ، عاد من جديد إلى الصين لمتابعة مهمته وسلم روحه الطاهرة إلى بارئها وهو في مهمته القدسية.

وهذا صحابي آخر وهو جعفر بن أبي طالب ﷺ الذي هاجر إلى بلاد الحبشة، وقضى من عمره ثلاث عشرة سنة وهو يقوم بمهمة التبليغ والإرشاد حتى ينتشر الإسلام

ويقوى عوده، وبعد عودته إلى المدينة المنورة بعام خرج في غزوة مؤتة واستشهد فيها رضي الله عنه وأرضاه.

لقد وجد الصحابة الكرام الحياة بالقرآن الكريم، ونذروا حياتهم في سبيل تبليغ القرآن وتعاليمه، وفي هذا الشأن، بذلوا جهوداً، وقدموا

تضحيات لم يشهد لها مثيل في التاريخ، فقد تعرضوا للتعذيب والضغط

والظلم والقهر، وحتى تعرضوا إلى

القتل والاغتيال؛ ولكن لم يتنازلوا أو يساوموا على مبادئ عقيدتهم الثابتة والراسخة، وقد هاجروا من بلادهم تاركين وراءهم وطنهم، وممتلكاتهم، وأموالهم في سبيل إحياء دين الله الحق، وقد وصلوا إلى مرحلة من اليقين والاطمئنان الإيماني العالي كانوا مستعدين معها على التضحية بكل شيء في سبيل الله ﷻ.

وكم تدعو حجة الوداع إلى التفكير والاعتبار، حيث

كان يجتمع ما يزيد عن مائة وعشرين ألفاً من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً. وقد أوقف حوالي مائة ألف من هؤلاء الصحابة حياتهم في سبيل تبليغ دين الله تعالى بالذهاب إلى شتى بقاع الأرض، والعمل على إرشاد الناس بقلوب مشبعة بالأخلاق النبوية الرفيعة، والتعاليم القرآنية الرشيدة، وهكذا، حتى بعد وفاتهم في تلك الأماكن التي تواجدوا فيها أصبحوا وسيلة للرحمة والبركة.

وأماننا واحد آخر من أولئك

الصحابة المباركين وهو

سيدنا خالد بن زيد أبو

أيوب الأنصاري ﷺ،

واحد من الأمثلة على

التضحية والفداء التي لا

مثيل لها، حيث أنه رضي

الله عنه على الرغم من

عمره البالغ ما يربو على

الثمانين عاماً قد سافر

إلى إسطنبول مرتين

ووصل أمام أسوارها،

وهناك وافته المنية وسلم

الروح إلى بارئها. ومما لا

شك فيه أن عظيمته العالية،

وجهه الكبير مظهر من مظاهر

الشوق إلى صحبة رسول الله ﷺ يوم القيامة

ونيل النجاة الأبدية في تلك الدار الآخرة.

لا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة!...

لأن الله تعالى يقول في كتابه الكريم:

﴿...وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾ (البقرة، ١٩٥)

أي، عندما تكون الفرصة والإمكانية متاحة لكم للحصول على رضا الله تعالى فلا تلتفتوا إلى جاذبية الدنيا

نجد هنا شكوى

عمر ﷺ المُرَّةَ ماثلة: «اللهم إني

أشكو إليك جَلَدَ الفاجر وعجز الثقة»

ولا يرفع هذا الواقع إلا الصدق مع الله ﷻ،

ودليل الصدق الاستعداد مع البذل والتضحية في

كل جانب تحتاج إليه الدعوة في وقت كهذا، وهو

الوقت الذي يعظم فيه الأجر ويزداد فيه الفضل،

وشتان بين من يضحي وهو يرى ثمرة الجهد

وتلوح له أمارات النصر وبين من يضحي وقد

غابت عن ناظريه أمارات النصر ودلائل التمكين،

قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ

الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا

مِنْ بَعْدٍ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(الحديد، ١٠)

الفانية، ولا تنخدعوا بسرابها، وزينتها، ومظاهرها، وراحتها فتقعوا في الغفلة! وإلا فإن آخرتكم سوف تتعرض للتهلكة والخطر! فهذا تحذير من الله تعالى.

حيث أن الرواية الآتية التي تبين سبب نزول هذه الآية، فيها عبرة كبيرة:

اتجه جيش المسلمين في عصر الخلافة الأموية، نحو مدينة إسطنبول من أجل فتحها وذلك لنيل بشارة الفتح التي بشر بها النبي ﷺ. وكان بين صفوف ذلك الجيش الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه. بينما كان جيش الروم يحارب وقد جعل أسوار المدينة في ظهره، خرج شخص من بين الأنصار واقتحم بحصانه

صفوف جيش الروم حتى وصل إلى منتصفه. فقال أحد جنود المسلمين الذي رأى هذا الموقف «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (البقرة، ١٩٥) مستشهداً بهذه الآية الكريمة وأكمل يقول:

لا إله إلا الله! انظروا إلى ذاك! يرمي بنفسه إلى التهلكة المحققة!.

فقال أبو أيوب رضي الله عنه بهذا الخصوص: أيها المؤمنون! (لا تفهم من هذه الآية خطأ) فقد نزلت هذه الآية فينا نحن الأنصار، لقد قلنا إذا أعان الله تعالى نبيه ونصر دينه (فإننا سوف نتجه إلى أموالنا، ونشغل بإصلاحها وتنميتها) فنزلت الآية الكريمة بسبب ذلك:

«وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (البقرة، ١٩٥) (انظر: أبو

داود، الجهاد، ٢٢/٢٥١٥؛ الترمذي، التفسير، ٢/٢٩٧٢)

إذاً فإن المقصود من الآية الكريمة: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» هو عدم الانشغال بالبساتين

والحقول وغيرها من الشؤون الدنيوية، وإهمال أو ترك بذل الجهود في طريق الحق.

وها هو ذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه الذي رعى والتزم التحذير الإلهي، فاقتدى بالنبي ﷺ في أداء العبودية الخالصة للحق سبحانه وتعالى، وبحرص شديد على أداء دين الشكر على تشريفه بنعمة الإيمان، لم يتكلف جهداً للقيام بواجبه على أكمل وجه حتى النفس الأخير من حياته، وخلال معركته هذه التي انضم وهو في عمر يزيد على الثمانين عاماً وافته المنية، ونال بذلك مرتبة الشهادة.

التضحية بالنفس...

وعلى النهج ذاته سار شهيد فتح كوسفو مراد خان الأول الذي قدم التضحيات بكل إخلاص في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، حيث قال في ميدان المعركة بكل تضرع:

«يا رب! لا تجعل هزيمة وهلاك جنودك المؤمنين على أيدي هؤلاء الكافرين! وتفضل عليهم بنصر يكون عيداً لكل المسلمين! وإن شئت يا رب اجعل عبدك مراد هذا قرباناً لهذا العيد!»

وأما القائد المقدم السلطان محمد الفاتح وجيشه الذي كان مظهراً للإيمان والصدق والذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنطِينِيَّةُ، فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ» (أحمد، مسند، ٤، ٣٣٥)

حيث كانوا يتسلقون أسوار إسطنبول تحت وابل من نيران الروم وكأنهم متجهون إلى عرس، وليسوا مقبلون على الموت، وينادي الواحد منهم (لا تستشهد، فالدور لي اليوم...)، وبذلك كانوا يسطرون أساطير من التضحيات على مر العصور.



وخلاصة الكلام، فإن وصول وانتشار ديننا، وأوطاننا التي نعيش فيها إلى هذا اليوم هي نتيجة للبركة التي تفضل الله ﷻ بها على الجهود والتضحيات التي بذلها المؤمنون المخلصون، والأولياء والعلماء من أهل التقوى والصلاح، والدماء الطاهرة التي قدمها الفاتحون والشهداء.

التبليغ بالحال...

إن الأسلوب الأكثر تأثيراً من أنشطة التبليغ على مر العصور كان عن طريق الالتزام الفعلي بفضائله، ورقته، وآدابه وتقديمه للناس بلسان الحال الذي يعيشه المسلم، وإن الحادثة التي نوردها هنا خير مثال على ذلك:

في أحد الأيام وضع تاجر مسلم كان يمارس تجارة الأقمشة، وضع بضاعته على ظهر سفينة متجهاً إلى إندونيسيا ليتابع تجارته هناك.

وكانت الأقمشة الممتازة

التي جلبها معه هي من نوع الأقمشة

التي يبحث عنها السكان في تلك البلاد،

ولأنه كان رجلاً مؤمناً يتمتع بالقناعة التزم بمبدأ (ليكن الربح قليلاً، ولكن يكون طاهراً وحلالاً)، ولذلك فإنه لم يكن يميل إلى "الغبن الفاحش" حيث تُستغل الفرص لبيع البضاعة بأضعاف سعرها، ولم ينجرّف نحو الجشع والعمل على تحقيق الغنى بأقصر وقت.

وفي أحد الأيام عندما جاء إلى العمل متأخراً، رأى أن عامله قد حقق أرباحاً عالية ببيعه للبضاعة، فجرى الحديث التالي بينه وبين العامل بخصوص الأرباح:

التاجر: من أي الأقمشة بعّت؟

العامل: من تلك الأقمشة يا سيدي.

التاجر: وبكم بعته؟

العامل: بعشرة دراهم.

التاجر: كيف ذلك؟ كيف تبيع قماشاً سعره خمسة دراهم بعشرة دراهم؟ لقد ترتب للرجل المسكين حق في ذمتنا، هل تعرف الرجل إن رأيته؟

العامل: أجل، أعرفه!

التاجر: إذاً، اذهب بسرعة وأحضر الزبون إلى هنا، يجب عليّ طلب المساعدة منه دونما تأخير.

ذهب العامل خلف الرجل حتى وجده وأحضره، وما إن أبصره التاجر صاحب الدكان حتى أسرع إلى طلب المساعدة منه، وأعاد إليه فرق السعر الزائد الذي أخذ منه عامله، وأما الرجل فقد وقع في حالة من الحيرة والدهشة لهذه المعاملة الجميلة التي لم يُعامل بها من قبل، وتساءل في نفسه "سامحني بحقك؟" محاولاً فهم واستيعاب المعنى العميق لهذه الجملة.

وأصبحت هذه الحادثة حديث الناس وتناقلتها الألسن في وقت قصير، ولم يمض وقت طويل حتى وصلت الحادثة إلى مسامع الملك، فدعا الملك تاجر الأقمشة إلى قصره، وقال له: إن التصرف الذي قمت به لم نسمع به، ولم نره من قبل! لقد أصبحت حالك لغزاً بالنسبة إلينا، فهل لك توضيح الأمر لنا؟

فأجاب التاجر بمتنهي الأدب:

إنني رجل مسلم، وفي الإسلام الملك لله ﷻ، والمؤمن مجرد مؤتمن عليه، وإن تحقيق المنفعة بدون وجه حق، والربا، والاستغلال، والغبن الفاحش (بيع البضاعة بأضعاف ثمنها بطريق الاحتيال) وسائر المعاملات التي تضرّ بالمجتمع هي من المحرمات في الإسلام.

وقد كان للرفق

والسماحة والكلمة الطيبة

والإحسان إلى الناس والرحمة بهم وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، الأثر القوي في انتشار الإسلام في ربوع المعمورة، فقد روى لنا التاريخ أن كثيراً من الشعوب في جنوب آسيا، كشعوب الفليين وماليزيا وأندونيسيا وغيرهم، إنما دخلوا في الإسلام نتيجة احتكاكهم بالمسلمين، وتعرفهم على أخلاقهم الفاضلة التي كانوا يتعاملون بها معهم، مما جعلهم يتأثرون بأخلاقهم، ويتأسون بهم.

نماذج معبرة "نموذجية"...

خلال قمة القيادات الدينية للمسلمين في أمريكا اللاتينية التي عقدت في إسطنبول في شهر تشرين الثاني من عام ٢٠١٤، نُقلت حوادث ووقائع تذكر بمدى أهمية وعظمة المسؤولية الملقاة على عاتقنا جميعاً، وإحدى هذه اللوحات التي تدعو للاعتبار هي:

يقول الإمام حنيف الذي يعيش في منطقة هاييتي في أمريكا اللاتينية الوسطى، يقول في رسالته الموجهة إلى رئاسة الشؤون الدينية التركية:

«نحن أولاد آباء وأمّهات استُعبد أجدادهم في أفريقيا ونُقلوا إلى هنا، فأجدادنا رُحلوا من أفريقيا إلى هذه البلاد كعبيد. ومنذ سنوات، أو حتى منذ أكثر من قرن من الزمن (١٥٠ سنة) عندما يحاول آباؤنا وأمّهاتنا تنويم أطفالهم، فإنهم يسألونهم بالكلام الآتي:

"يا بني، لا تخف! ذات يوم سيأتي المسلمون من إسطنبول، ويضعوا حداً لحياة العبودية هذه".

ولكننا انتظرنا طويلاً، إلا أنكم يا أحفاد العثمانيين لم تأتوا، وبقينا هنا غرباء وحيدين، وبعد فقدان وضياع أجيال كثيرة اكتشفنا دين أجدادنا من جديد، فأصبحنا مسلمين وبدأنا حياتنا الإسلامية مرة أخرى، ولكن للأسف الشديد، ليست لدينا جوامع ولا مساجد! وليست لدينا كتب، ولا من يعلم أولادنا القرآن الكريم! أكتب إليكم للمرة الأخيرة؛ من فضلكم أرسلوا إلينا هيئة!...

ومثلما جاء في رسالة الإمام حنيف، فخلال الحملات الاستعمارية للغرب واستعباد المسلمين وتهجيرهم من بلادهم كان يتم تقييد أرجلهم وأيديهم

وأما في هذه البيعة فقد ترتب للرجل حق في ذمتي، ولذلك فقد اختلط ربحي بالحرام، فأردت تصحيح الخطأ فقط.

فقال الملك: وما الإسلام؟ وما الذي ينبغي عمله حتى يكون المرء مسلماً؟ وتابع الملك بأسئلة من هذا القبيل.

والتاجر يجيب عن كل سؤال بلسان لين، وبأسلوب في غاية اللطف والرقّة.

فلم يضع الملك الذي سمع بوجود مثل هذا الدين لأول مرة وقد تجسّد أمامه بحالة التاجر العملية، لم يضع وقتاً كثيراً حتى تشرف بالإسلام، وخلال وقت قصير دخل كل شعبه في الإسلام. وها هي إندونيسيا اليوم من أكثر دول العالم كثافة بالمسلمين، فربما كان السر وراء دخولها وقبولها للإسلام هو تلك الدراهم الخمسة لتاجر الأقمشة ذاك الذي جسّد الأخلاق الإسلامية في تجارته، والشيء الذي فعله التاجر المسلم هو: عبارة عن التجسيد الفعلي للجانب الروحي المشرق والوجه المتسامح للإسلام بشخصية إسلامية حقيقية صادقة.

واليوم يجب علينا وضمن حدود قوتنا وإمكاناتنا أداء المهام الملقاة على عاتقنا بأفضل وأجمل الأساليب، وخاصة العناية بالمسؤولية المتعلقة بتمثيل الإسلام وتبليغه، ولا ينبغي أن ننس مسؤولياتنا تجاه الناس المحرومين والبعيدين عن هداية الإسلام في مختلف بقاع الأرض، وتجاه إخواننا المسلمين الذين يتعرضون للظلم والاضطهاد في شتى بلدان العالم، وينبغي ألا يغيب عن تفكيرنا بأن الإهمال والغفلة في هذا المجال يعرضنا لوبالٍ شديد من الحق ﷻ.



وينتظرون في محطات الموانئ على سواحل البحر قبل أن يتم نقلهم إلى مناطق أخرى.

وكم يدعو للاعتبار حال بعض العلماء المسلمين الذين تسللوا خفية بين صفوف العبيد وربطوا أيديهم وأرجلهم، وأظهروا أنفسهم بمظهر العبيد، حتى يتواجدوا مع أولئك العبيد في الأماكن التي سوف يُنقلوا إليها، ويعينوهم على الحياة والعيش بهويتهم الإسلامية، ولا يفقدوا الدين الإسلامي المبين...

وهكذا فإن هناك أملة كثيرة تشكل نماذج حية تذكّرنا وتعلمنا كيف نكون أصحاب الغيرة الدينية، وتبين ضخامة حجم المسؤولية، والواجب الملحق على عاتقنا في أيامنا هذه.

وإننا اليوم في حالةٍ ينبغي معها محاسبة أنفسنا محاسبة دقيقة، وعلينا التفكير ملياً، بحجم مشاعرنا وإحساسنا بضرورة تجسيد معاني التضحية في سبيل الله ﷻ والمقارنة بالتضحيات التي بذلها السابقون ابتداءً بالنبي ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأصحاب الحق والغيرة الدينية، وانتهاءً بجميع أهل الإيمان.

فكم نُسرّ لفرح المسلمين، وكم نحزن لحزنهم؟ وما هو حجم التضحيات التي نقدمها بأيدينا، وألستنا، وقلوبنا تُجاه إخواننا المضطربين والمكتئبين؟ وهل نحن مستعدون لإيثار إخواننا في الدين على أنفسنا؟

وفي أي مستوى نحن من الشفقة، والرحمة والتضحية التي أظهرها النبي ﷺ تجاه أمته؟

وما مدى الجهد الذي نبذله في تمثيل الإسلام، وتبليغه بلسان حالنا ومقالنا إلى الناس الذين ينتظرون الهداية؟

وباختصارٍ، ما مدى قربنا من رسول الله ﷺ، بالنظر إلى سلوكنا وحالنا؟ وهل لدينا الشوق والرغبة الصادقة لنكون قرييين منه؟

دلائل التضحية وثمراتها:

١ - كمال الإيمان: وذلك لأن التضحية شعبة من شعبه، يزيد بها الإيمان، وينقص بتركها، وقد قال ﷺ: «... من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (البخاري، ٦١٣٦)

٢ - حصول شرف التأسي بالنبي ﷺ، وهي أمانة أيضاً على قوة الإيمان لقوله ﷺ:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب، ٢١)

٣ - عدم الركون إلى الدنيا، والتعلق بالآخرة، وهو طريق سعادة العبد.

٤ - تحصيل قناعة القلب وغنى النفس، وهو الغنى الحقيقي؛ لارتباط صاحبه بربه ﷻ.

٥ - ضمان الخلف لما أنفق، وحصول البركة لما بقي. وقد جاء في الحديث:

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» (متفق عليه)

وهو مفهوم القاعدة المشهورة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

٦ - ما يترتب على التضحية والجهود المبذولة من ثمرات ومنافع وهداية لا تخطر ببال صاحبها، ولا يعلم مداها إلا الله ﷻ، مصداق لحديث النبي ﷺ:

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»

(مسلم، ٢٦٧٤/١٦)

الاقترب من اليمين

الدكتور: مراد كـيا

﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى﴾ (طه: ١٢٠)
لم يكن آدم عليه السلام مخطئاً، أراد فقط أن يكون أكثر قرباً
إلى الله وأن يعيش في الجنة إلى الأبد شأنه شأن الملائكة.
فاستغل الشيطان مشاعره الجميلة هذه وأوقعه في
الفخ... ونلاحظ هنا أسلوب المبالغة الذي استخدمه
الشيطان لتنفيذ مآربه. فالمخادعون يستخدمون أسلوب
المبالغة في الكلام وإظهار تواضع كاذب وتحريك مشاعر
الرحمة والحنان لدى الطرف الآخر.

وهناك نقطة هامة أخرى وهي أن الأشخاص
ذوي القلوب الطاهرة يعتقدون أن الجميع مثلهم وأنهم
يخشون الله "ولا يتجرؤون أمامه على العصيان ولا
يقسمون باسمه زوراً وبهتاناً".

وهذا ما حصل مع آدم وحواء عليهما
السلام اللذان ظنّاً أنه ما من أحد يجزئ
على القسم باسم الله تعالى كذباً، ولكن
ما جرى بالفعل كان مغايراً لتوقعاتهم.
فالجاهلون الذين لا يعرفون الله حق
معرفته مهما بلغ مستوى تعليمهم
الديني يمكن لهم ارتكاب الآثام

قد يخدع الإنسان نفسه أو قد يخدعه الآخرون،
وأكثر الطرق المطروقة للخديعة هي "الاقترب من
اليمين". فالنفس أو الشيطان يقتربان من اليمين
لجعل الإنسان يرى عمله مشروعاً. والأشخاص
سيئو النية يقتربون من ضحاياهم في الغالب من
اليمين لخداعهم. يقدم المخادعون أدلة مزيفة
لللباس العمل لباس الحق، أو قد يحرفون الدلائل
المثبتة الصحيحة ويشوهونها لنفس الغرض. وبهذا
يجعلون ضائراً أولئك الأشخاص تتراح
للأفعال الخاطئة فينفذونها ببساطة تامة.

إنهم يستغلون صدق مشاعر
المخدوعين ونواياهم الطيبة
ورغبتهم في فعل الخير.
يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا
عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ
تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ
الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ. فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾
(الأعراف: ٢٠-٢٢)



﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ
وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾
(الأنعام: ١١٢؛ مقارنة بالآيات من ٤-٦ سورة الناس)

﴿... وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ (الأنعام: ١١٢)
﴿...إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
(الأعراف: ٢٧)

فطوبى لمن فهم هذه الحيلة وأدرك هذه الخدع وهو
لا يزال في الحياة الدنيا وتمكن من تخلص نفسه؛ أما من
عجز عن فهمها في هذه الحياة وفهم الحقيقة في الآخرة،
فإن فهمه يكون قد أتى متأخراً وبعد فوات الأوان. عندما
يدرك الإنسان حقيقة الخداع الذي تعرض له يتملكه
شعور بالندم والبؤس، وليكن في المشهد التالي عبرة لنا:
[يأمر الله تعالى ملائكته] ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَأَزَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ
إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ. وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. مَا لَكُمْ لَا
تَنصَرُونَ. بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. [يقول التابعون لأوليائهم] قَالُوا إِنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ (الصفات: ٢٢-٢٨)

إذا لم يعرف الإنسان الله تعالى ودينه حق المعرفة،
ولم يعهد الهدف الحقيقي لمحيته إلى هذه الدنيا فمن
السهل حينها أن يقع فريسة لخدعة "أساتذة" الكذب
والخداع. فهم يظهرون بمظهر الحق ويقترّبون من
اليمن... ثم يستخدمون كل ما لدى الإنسان لدفعه
إلى ارتكاب المعاصي وبلوغ آمالهم البشعة؛ لذا يجب
توخي الحذر والوصول إلى المصادر الصحيحة
للمعرفة والتزود بالمعلومات
الأساسية والضرورية
لدرء هذا الخطر.

والذنوب التي لا تتماشى مع العقل والمنطق ويتجاهلون
بذلك أوامر الله تعالى، أو حتى أنهم قد يلفقون الأكاذيب
التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة. والآية التالية توضح هذه
الحال في حديث للجن الذين شهدوا الحقيقة وأسلموا
عندما استمعوا إلى تلاوة الرسول ﷺ للقرآن الكريم:
﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
(الجن: ٥)

فأصحاب العقول السليمة يدركون عظمة الله
تعالى وقدرته ويخشون الوقوع في الخطأ أمامه تعالى.
أما الجاهلون والغافلون والسفهاء فهم - مع الأسف -
يختلقون الأكاذيب ويقولون على الله ليخدعوا
الآخرين. وبهذا قد يرتكبون جريمة كبرى... لذا فإن
الله تعالى يحذرنا من ذلك بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
(لقمان: ٣؛ قارن: الآية ٥ من سورة فاطر، والآية ٢٠ من سورة الحديد)

يدفع الشيطان الإنسان إلى ارتكاب المعاصي ويحرضه
على فعلها أملاً بالتوبة فيما بعد، وينطلق في ذلك من أن
الله غفور رحيم. فعندما طرد الشيطان من الجنة تجرأ على
الله تعالى قائلاً:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ
لَأَتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ
شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧)

والشيطان - كما ذكر في الآية الكريمة - لا يأتي من
اليمن فحسب بل يحاول الهجوم من كل الاتجاهات
وسلك جميع السبل، ويستعمل أعوانه من الإنس والجن
لهذا الغرض. لذا فالشيطان لا يكون من الجن فحسب
بل يمكن أن يكون من البشر أيضاً ويمكن أن يأتي من
الأمم والخلف ومن اليمن والشمال. يقول الله تعالى:



مدينة الروح

ALQUDS

عائشة قلتش

وعشاق الحق والمتصوفين. في كل زاوية من زواياها تقريباً تطالعك ذكرى نبي من الأنبياء أو حاكم من الحكام، وكأنها كتاب حي يروي القصص والعبر. لقد تركت مدينة القدس أثراً عميقاً في قلوبنا.

سألت أم المؤمنين ميمونة النبي ﷺ عن القدس قائلة: "يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟"، فقال: "أرض المحشر والمنشر، اتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كآلف صلاة في غيره."، قالت: "أرأيت إن لم أستطع أن أتحمّل إليه؟"، قال: "فتهدي له زيتاً يسرج فيه فمن فعل فهو كمن أناه."

وكما نعلم فإن النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة كان يصلي نحو بيت المقدس. لقد دل عليه الصلاة

مدينة القدس كلمة تمتلك بحروفها قداسة هذا المكان الذي يحتوي على المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى نبينا ﷺ، فهو أول محطة مباركة في رحلة الإسراء والمعراج، وأول درجة من درجات الارتقاء إلى السماء. إنها المدينة التي لم تتمكن الأديان من تشاطرها، إنها الحرم الشريف الثالث بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة، إنها المدينة التي يُصعد منها إلى السماء. إنها القدس؛ تاريخ القرآن، وأرض الأنبياء من إبراهيم إلى يعقوب وموسى وعيسى، ومحط الأنبياء والأولياء



لكن وفي لحظة تحوّل القيود المفروضة على المكان القريب إلى بعيد... السلام عليكم أيها الأنبياء وعلى من سار على نهجكم... نقولها مخلفين وراءنا جزءاً من أرواحنا ونغادر وعيوننا تفيض دمعاً ذلك المكان الذي تفوح منه رائحة الأنبياء.

تعظنا بحيرة لوط التي يعد سطحها أعمق نقطة في العالم ولا يعيش فيها أي نوع من الأحياء، وتدفعنا إلى التفكير في كيفية هلاك قوم يوماً ما في التاريخ الغابر.

في طريقنا إلى القدس يستقبلنا بحرارة مقام النبي موسى عليه السلام على مشارف مدينة أريحا. إنه النبي موسى الذي عرفناه وتعرفنا عليه من بعيد والذي قرأنا عنه مطولاً في القرآن الكريم وعن نضاله من أجل خلاص قومه، من غطاء ضريح موسى عليه السلام تفوح رائحة الكعبة المشرفة وتحرك أفئدتنا. صوت يرتفع من المآذن ليتسلل إلى قلوبنا، إنه دليل السكينة التي تغمر - منذ أمد بعيد - جسد موسى عليه السلام المنهك. السلام عليك يا موسى، نقولها ونترك قطعة أخرى من روحنا هناك.

في حارة اليهود المبنية من الحجارة نسير في أزقة ضيقة ومن حولنا يهود ومسيحيون لنصل إلى مقام داوود عليه السلام. في هذا المكان الذي يحمل الكثير من البصمات العثمانية ترتجف أرواحنا برداً لرؤية الطقوس الدينية المقامة فيه. وفي هذا المكان الذي بات كنيساً يهودياً نلتجئ جميعاً إلى المحراب فهو ما تبقى لنا من آثارنا هناك. "لقد اشتاقت هذه الحجارة إلى الآيات القرآنية!" نقولها ونبعث الحياة في محراب يئن بتلاوة آيات من مطلع سورة البقرة.

والسلام مسلمي اليوم على أن الهدف هناك. وهكذا فإننا نأخذ هذه الإشارات النبوية بعين الاعتبار ونطيع هذه الوصايا، ونطلب الرحلة إلى القدس - رغم المخاطر الأمنية في المنطقة - لنكون شهوداً على التاريخ ونسبر أغوار هذه البلدة.

إن لقاء هذا البلد الذي تتحرق أفئدتنا شوقاً لرؤياه يثير حماسنا، فالصلاة في هذا المكان المبارك الذي صلى فيه النبي ﷺ وجميع الأنبياء، ورؤية المكان الذي ارتقى منه ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، والنظر إلى الصخرة المعلقة التي سعت وراء النبي عليه الصلاة والسلام بعشق وشغف والتي قيل عنها إن الصخرة التي سلم عليها رسول الله ﷺ ليلة المعراج، وزيارة مسجد البراق الذي ربط فيه نبينا ﷺ "البراق" عندما عرج من مكة بمعجزة الإسراء، كل ذلك يجعل رحلتنا ذات قيمة كبيرة ويقربنا من المولى ﷺ، إن المسجد الأقصى يحيط بنا من كل جانب، ويجعلنا بحق ننسى وحدتنا.

نتوجه في طريقنا إلى مدينة الخليل... تلك المدينة المباركة، إنها مدينة إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء خليل الله تعالى، وزوجته أمنا سارة. أثناء دعوتهم لنا إلى الدخول تؤلف معرفتنا السابقة بين قلوبنا، وتزداد قيمة دعائنا "صلي وبارك" ونحن نلهج به بألستنا.

إلى الداخل قليلاً، النبي إسحاق عليه السلام وزوجته "رفقة"... نجشوا على ركبنا بقربهما. نذهب في رحلة إلى التاريخ والقصص ونذكر أنفسنا مرة أخرى بهم. تهل البشرى أن في الداخل مقام يوسف ويعقوب عليهما السلام.



السلام عليك يا داوود، نودع المكان تاركين فيه جزءاً آخر من أرواحنا. ليس باليد حيلة...

نسير ليلاً وتأخذنا خطواتنا نحو معراجنا نحن. المآذن تصدح بآيات قرآنية تملأ سماء القدس. صوت الأذان الحزين الباحث عن جيرانه القرييين وعن الازدحام القديم يحاول أن يطغى بقوة على صوت أجراس تُسمع بين الفينة والأخرى ليكون دواء يداوي شعب فلسطين. يتملكنا الغضب ونحن ندخل تحت رقابة الشرطة إلى أماكن العبادة في القدس التي ظلت أربعة قرون في كنف العثمانيين ويتحول هذا الغضب في داخلنا إلى ألم. لكننا نشعر رغم كل شيء بسكينة وطمأنينة عميقتين في حديقة المسجد الواسعة، وتغمرنا السعادة عندما نرى الفرحة تعلو وجوه الفلسطينيين لدى سماعهم أننا قادمون من تركيا، إن سعادتهم ومجاملتهم لنا وفرحتنا بأن نجعلهم لا يشعرون بالوحدة تخلف في أنفسنا أثراً عميقة. ومع حلول الظلام ونحن في أولى القبلتين وثاني الحرمين وأحد الأماكن الموصى بزيارتها والتي يعادل أجر ركعة

واحدة فيها أجر ألف ركعة تنتشي أرواحنا وتشعر بالانشراح ببشرى النبي عليه الصلاة والسلام بأن من تعبد في الأقصى كمن تعبد في السماء الأولى.

جبل الزيتون الشاهد على كل شيء هو من يحتضن مدينة القدس على سعتها وهو من يعزيها، يقف شاخاً من أجل السلام والبركة، وكى لا يحول النعمة التي يحملها إلى عبء... إنه يحتضن اثنين من أحباء الله أضفيا جمالاً على العصور وأضاء دربنا: سلمان الفارسي ورابعة العدوية، اهتديا بنور الله ﷻ وأرشدا الآخرين إلى الدرب. جبل الزيتون يعطينا الأمل فندم أغصان الزيتون إلى الإنسانية جمعاء وألسنتنا تلهج بالدعاء...

أليس الدخول إلى القدس يعني الدخول إلى مكان يحتوي كل شيء؟ بمجموعات تضم أشخاصاً من الأديان السماوية الثلاث وعلى مشارف جبل الزيتون نغوص في أعماق رحلة تاريخية في المدينة التي تحمل على ظهرها المسجد الأقصى حيث عرج النبي عليه السلام إلى السماء.

اقرأ وتفكر

القدرة على قول "كنت أعرف هذا"

تذكر الآية ١٨ من سورة الحاقة عن اليوم الذي سيعرض فيه الناس على الله تعالى من أجل الحساب، وتشير إلى أنه في ذلك اليوم: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾. وتخبر السورة بعد ذلك أن من سيأخذ كتابه بيمينه سيكون في النعيم وتقول:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (الحاقة: ١٩-٢٣)

واللافت للنظر في هذه الآيات أنها تشير إلى أن من سيستلم كتابه بيمينه في ذلك اليوم، سيكون في عيشة راضية وسيكون قادراً على القول: ﴿هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَهٗ. إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهٗ...﴾ لأنه يؤمن إيماناً يقينياً بأن هذا المشهد سيتحقق وهو يسارع خلف الأعمال التي ستأخذه إلى تلك اللحظة، ويحترس من فعل ما يجعله يستحق العكس.

إذا كانت الحياة سباقاً لا نعرف أين أو كيف سينتهي، فإن الهدف خوضه بنجاح والرحيل عن هذا العالم بإيمان كامل حتى النفس الأخير. والخطوة التي تتلو ذلك إنها هي الدخول في زمرة المبشرين الذين تتحدث عنهم الآية الكريمة لتتمكن من قول: "كنت أعرف هذا" ونأخذ بيميننا دفتر الأعمال الذي كتبت فيه جميع أعمالنا دون استثناء، صغيرة كانت أم كبيرة. وأن يكون كتاب أعمالنا الذي يؤخذ باليمين مفتوحاً أمام قارئه بقلب مطمئن.

الإسراء والمعراج

يقول الله تعالى:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى

الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الإسراء: ١)

لقد بدأت الآية الكريمة بتنزيه الله تعالى للفت الانتباه إلى الأهمية البالغة للأمور التي تتضمنها، فمعنى (سبحان) حسب بيان علماء التفسير: تنزيه الله تعالى عن كل صفات النقص، ومن جهة أخرى فإنه مستخدم أيضاً للدلالة على عظمة خلق الله تعالى الخارقة للعادة والمحيّرة للعقول، وهو في الوقت ذاته من الأذكار والتسبيحات المهمة.

وباختصار نقول بأن هذه الكلمة هي:

تهيئة للأرضية اللازمة لتطهير القلوب لتتقبل حادثة الإسراء المحيرة للعقول وتصدّقها، ووقاية الناس من الوقوع في أوهام التشبيه والتجسيم (أي: تشبيه الحق سبحانه وتعالى بالمخلوقات، والاعتقاد بأن له شكلاً جسيماً معيناً). بيان لحقيقة تنزيه الله تبارك وتعالى عن العجز، والشّبيه، وعن كل صفات النقص، وذلك في مواجهة من يرون استحالة وقوع المعراج.

وبمتابعة الآية الكريمة نرى فيها لفتاً للأنظار إلى أهمية الليل؛ لأنّ الإسراء كان رحلة ليلية، والوحي الإلهي في غالبه كان يأتي في الليل، وكذلك الأحداث الكبرى سواء السلبية أو الإيجابية كانت تتجلّى أيضاً بشكل عام في الليل، ولذلك فإن صلاة التهجد - التي هي من العبادات النافلة والتي يتم أدائها في وقت السحر - تعدّ من العبادات الجليلة.

وأما فيما يتعلق ببركة المسجد الأقصى وما حوله فقد بيّنت الآية أنه:

١. مبارك ببركة الدين والدنيا، حيث توجد على أطرافه المساحات الخضراء الخلاصة والينابيع الجارية العذبة.
٢. عاش كثير من الأنبياء في أنحاء هذا المكان، ولذلك فقد عُرف بمهبط الوحي.
٣. مبارك بسبب وقوع حادثة الإسراء فيه.



الشوق إلى الإنسان

ذي الخصال السامية

✦ إدريس أرباب ✦

من المهام الاجتماعية العظيمة الصعبة تحلية الإنسان-بواسطة العلم- بالمشاعر الرقيقة والأفكار السامية، وجعل الأساس نيل رضا الله أثناء السعي وراء الغايات التي لا تنتهي.

لكن هل المجتمع يفكر بهذا الأمر؟

لعل أولئك الذين يتولون المسؤولية ومراكز القرار في المجتمع وقادة المنظمات الأهلية المخلصين يفكرون بذلك ويخططون له. إن إدراك الفرق بين ما هو كائن وما يجب أن يكون يحتاج إلى مستوى معين من الفكر، فكما أنه "ليس كل جناح قادر على التحليق وعبور البحار" فإنه ليس كل عقل قادر على التمييز بين المهم والأهم.

وأكبر هدية وهبها الأنبياء للإنسانية تربيتهم لأناس يعقلون ومؤهلون تأهيلاً جيداً؛ فالأيام الخيرة جاءت مع الأشخاص الخيريين.

إن العلم والعرفان والعمل الصالح أساس التنشئة الجيدة للإنسان. ويقال: الإنسان بحاجة إلى "أجنحة من المعرفة للتحليق إلى الجنة". يكمن جوهر القضية في تنشئة أفراد يتمتعون بحس المسؤولية.

والواجب هو ما يأمر به الإيمان والضمير والعقل، وتأدية هذا الواجب شرط أساسي لتنفيذ الأوامر الإلهية والشعور براحة الوجدان، ومن لا يؤدي واجبه لن ينجو من عذاب وجدانه.

إن القيام بالأعمال الصالحة يعني العيش بمقتضى إيماننا. ويمكن القول إن العمل الصالح هو الأخلاق. وإذا كان "الإيمان وردة عطرة أزهرت في قلوبنا، فإن العمل الصالح/ الأخلاق هو رائحتها الزكية التي شربتها أعضاؤنا."

والغاية من بعث الأنبياء هي الدعوة إلى التوحيد وإحلال العدالة والحرية والارتقاء بالإنسان. يقول نبينا عليه السلام: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق". لقد علّم الأنبياء الإنسان استخدام عقله وإرادته ومعرفة حدوده أمام الله تعالى وقيّمته أمام البشر. وجعل الوحي البشر يتمتعون بعالم مزدوج، ووَسَّع آفاقهم.

إن غياب حس المسؤولية سيجعل العمل والإيمان عقيمين، فمن تنتهي غايته سينتهي هو أيضاً، وبقاؤنا بلا عمل ومناقشتنا أموراً فارغة سيؤدي إلى هدم المجتمع، ويحوّلنا إلى عبء ولا شيء سوى ذلك.

الإنسان يثبت قيمته بالعمل الدؤوب، وعليه ألا ينتظر أي شيء من الآخرين مادياً كان أم معنوياً. وهذا أمر لا يتحقق إلا بالإيمان، فعند غياب الإيمان ينعدم الوجدان، ومع انعدام الوجدان تغيب التضحية، فيصبح الإنسان مشكلة الإنسان.

ما أشدّ حاجتنا إلى أشخاص منكبّين على أعمالهم، يعملون بصمت ويشعرون بمتعة معنوية كبيرة في عملهم، أناس يتمتعون بقلوب مفعمة بالحياة.

إن خمول الإنسان غير مقبول، فالأرض والسماء والزهور والحشرات وجميع الكائنات الحية أو غير الحية تعمل بدأب ونشاط.

لماذا على الإنسان العمل لنشر الخير في وقت "تخور فيه القوة وتنتهي المتعة"؟ ما الحكمة من ذلك؟

هناك إجابة وحيدة على هذا السؤال ألا وهي: الإيمان وكسب رضا الله تعالى. فالإيمان ورضا الله هما التربة الخصبة لبذل جميع التضحيات ونيل البركة.

إذن سيحاول أعداؤنا الأذكياء استهداف عقولنا وقلوبنا، هذا الأمر لا يغيب عن بال القوى الصديقة والتي ستحاول أن تكون "بناءة وإيجابية" ولن تتخلى عن متعة أداء الواجب بدقة وأن تكون في المكان الذي يجب أن تكون فيه.

لا محطة أخيرة على طريق السير إلى الله جل جلاله، ومهما بلغت من المراتب ستكون أمامك دوماً مراتب أجمل ودرجات أعلى. أداء "واجبنا الحالي" هو مهمتنا الأساسية في هذا المسير. سيستمر السعي من خير إلى خير طالما بقي فينا "قلب ينبض وعين تبصر".

وكلما ارتقينا من مرتبة إلى أخرى سنفهم أكثر كلام الله جل جلاله، وسنرى بوضوح الأهم والمهم. سيسير الرواد في المقدمة وسيحاول الآخرون اللحاق بركبهم. وهكذا ستستمر مغامرة تسلق "تلة الإنسانية المؤدية في نهايتها إلى الجنة" والتي غايتها هي رضا الباري.

من يخدم الحق والحقيقة، ويجرس العدالة والحرية يشحذ همته باستمرار. أما الذي لا يستلهم من الوحي والذي انطفأت همته ستذروه الرياح.

ولعل أسوء ما في الأمر هو أن لامبالاة الصالحين تؤسس لحكم الفاسقين. تبلغ نسبة المسلمين في عالم يصممهم الفاسقون ١٠٪ وحتى هؤلاء يعانون التمزق والتشرذم. لا مناص من نشر النور والخير كي لا يخلو المكان للأشرار. "من يقف يسقط ومن يسقط يُسحق، وفي قانون الذئاب فإن من يسقط يُؤكل، والإنسان الذي لا أسنان له يأكله إخوته".

إن الطريق لنشر الجمال ولدعاء الأمهات ولفرح الأطفال على وجه الأرض يمر عبر التحول إلى إنسان يقوم بواجبه، إنسان يحس دائماً بوجود العرش الأعلى. إن حملنا ثقل وطريقنا طويل.

السلام على من آمن بالله جل جلاله أولاً ثم على من وثق بنفسه...

[مقتطفات من لقاء مع العلامة نور الدين يلدز حول "أخلاق المؤمن"]

الأخلاق دين المؤمن



ماذا تشكل الأخلاق بالنسبة إلى المؤمن؟ إن الإجابة الوحيدة على هذا السؤال هي أن أخلاق المؤمن هي المؤمن بعينه فلا يمكن الحديث عن أخلاق المؤمن بمعزل عنه. فالأخلاق هي السلوك الذي أمرنا به الله تعالى ورسوله ﷺ. في حين أن الأخلاق بالنسبة إلى المجتمعات غير المؤمنة هي الصفات التي يستحسنها المجتمع ليس إلا.

المجتمعات غير المؤمنة هي الصفات التي يستحسنها المجتمع ليس إلا. ما كان يراه المجتمع قبل مئة عام عيباً وعاراً أصبح يراه اليوم رقباً وحضارة، هذه هي أخلاق العصر الحالي. أما معايير الأخلاق بالنسبة إلى المسلم المؤمن فهي لا تختلف اليوم عما كانت عليه قبل مئة عام. وأوضح مثال على ذلك هو أنه اليوم لا يُعتبر من العيب في شيء أن يشرع الطفل بالطعام قبل أبيه، أو أن يطلب من أمه أن تحضر له الماء، لكن قبل مئة عام كان ذلك عيباً كبيراً. لماذا؟ قبل أربعة عشر قرناً نهى رسول الله ﷺ عن أمر الأم بهذه الطريقة. وبعد خمسة آلاف سنة سيقى أمر الأم بإحضار ماء أمراً ممنوعاً على المؤمن ولن يتغير هذا حتى وإن لم يبقَ ليوم القيامة سوى ساعة واحدة، لأن مصدر أخلاقنا هو الوحي ولن تتغير أخلاقنا حتى

أحمد طاش غاتيران: أود أن أسألك عن "أخلاق المؤمن". فهي موضوع أساسي وهام في حياة المسلمين وعلاقاتهم ببعضهم البعض. فلنقف عند هذا الموضوع ولنتحدث عنه. ماذا تشكل الأخلاق بالنسبة إلى المؤمن؟ ما أهمية الأخلاق؟ تعتبر الأحكام الفقهية المصدر الأساسي الذي يرجع إليه الناس في فهم ومعرفة مسائل الحياة التي تواجههم، فكيف تُعقد مقارنة بين الأخلاق والفقه؟ ما هو مفهوم أخلاق المؤمن؟

نور الدين يلدز: لا أملك جواباً لسؤالك: ماذا تشكل الأخلاق بالنسبة إلى المؤمن؟ إلا أنني أقول إن أخلاق المؤمن هي المؤمن بعينه، لأن أخلاق المؤمن مصدرها الوحي. فالأخلاق هي السلوك الذي أمرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بالتحلي به في حين أن الأخلاق بالنسبة إلى

قيام الساعة. الأخلاق في الإسلام لا تتغير لأن الإسلام واحد لا يتغير. لا يرد وصف الأخلاق بأنها فرض واجب بل تعرف بماهيتها.

أحمد طاش غاتيران: كيف يمكن معرفة الفرق بين هذا وذلك؟ رسولنا الكريم ﷺ نبي الأخلاق يصفه الله تعالى في كتابه العزيز بأنه على خلق عظيم ويقول رسول الله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". إننا نتكلم عن الأخلاق التي هي جزء لا يتجزأ من شخصية الرسول ﷺ. ما الفرق بين الأحكام الفقهية كالفرض والواجب والسنة وبين الأخلاق؟

نور الدين يلدرز: ما الذي نسميه بالأخلاق؟ إننا نسمي علاقة الإنسان بمن حوله أخلاقاً. مثلاً ليس النوم على الجانب الأيمن صفة من صفات الأخلاق ولا يعتبر شرب الماء باليد اليمنى على ثلاث دفعات خصلة من خصلات الأخلاق. فالأخلاق هي كيف أقدم لك الماء، أو كيف أجلس باحترام دون أن أمد قدمي أمامك. تظهر الأخلاق في المواقف التي يتأثر فيها الآخرون بتصرفاتي، ولهذا علاقة بالأحكام الفقهية بالتأكيد. بعضها فرض وبعضها واجب وبعضها سنة، بعضها حرام وبعضها مكروه. ليست الأخلاق سلوكاً كيفياً يتحلى بها المرء متى أراد ويهملها متى أراد.

لنستعرض مثلاً بسيطاً عن الأخلاق: هل يمكن لمسلم تفوح رائحة فمه الذهاب إلى الجامع؟ هل يستطيع من تفوح رائحة فمه أن يحضر اجتماعاً أو أن ينضم إلى مجلس. يقول الرسول الكريم "من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقربن مسجدنا." إنه يقول إن من تنبعث من فمه رائحة غير مستحبة، يتسبب في إزعاج غيره. هذه قاعدة أخلاقية. أي إن رسول الله ﷺ يقول لمن يذهب لأداء فريضة الصلاة: لقد أكلت ثوماً فلا تدخل الجامع إذن. على الرغم من أن الرسول ﷺ يعد الصلاة واجباً إلا أنه يرجح كفة الامتناع عن أداء الواجب تحاشياً

لإزعاج الآخرين. إن عدم مراعاة الأخلاق يعني الظلم. كما أن توجيه كلام مسيء للمسلم والغيبة هي انعدام في الأخلاق. إننا اليوم نسمي الغيبة حواراً لطيفاً نتبادلها في جلساتنا. لذا فإننا لا ندرجها في المواضيع الأخلاقية على الرغم من أن الأخلاق في شريعتنا تشمل كل جوانب الحياة وجميع أوجه العلاقات الإنسانية.

يتناول "الأدب المفرد" للإمام البخاري الكثير من تفاصيل حياة المسلم التي تبدأ من حقوق الأم، مروراً بإلقاء السلام والجلوس والنهوض والتثاؤب إلى ما هنالك من تفاصيل الحياة اليومية. يوضح الكتاب الآداب الإسلامية الواردة في السنة النبوية والآيات القرآنية. لماذا يُقال "من لا يتمتع بالأخلاق لا دين له"؟ لأن قسماً كبيراً من الصفات الأخلاقية تعني تجنب الحرام، والقسم الآخر هو القيام بالفرض. مثلاً؛ أن يحترم الابن أمه وأبيه ويجلها وأن يرى نفسه أمامهما كما لو كان في السادسة من العمر حتى وإن بلغ الستين... هذه هي الأخلاق. وهذه هي الواجبات التي تلي واجبات طاعة الله تعالى في القرآن الكريم. لذا ليست الأخلاق الشرط السابع من شروط الإيمان بل هي مجموعها بالكامل.

أحمد طاش غاتيران: أي أنها تشمل الإيمان وشروط الإسلام معاً؟

نور الدين يلدرز: الإيمان مُتَضَمِّن في الأخلاق، من لا يتحلى بالأخلاق لا يمكنه حتى التفكير في شروط الإيمان. مثلاً هل من الممكن صياغة جملة كهذه: إن الصلاة فرض على البقر؟ كلا بالطبع هذه الجملة غير مقبولة. لم لا يوجد في القرآن الكريم جملة كهذه؟ لأن الإسلام دين الإنسان. والأخلاق ليست أحد شروط الإيمان. فانعدام الأخلاق لا يتماشى مع الإسلام. الرسول ﷺ قدوة في الأخلاق، من كان يشكو من مشكلة في أخلاقه أو لا يتحلى بالخصال الحميدة كيف له أن يدعي انتهاءه إلى أمة محمد ﷺ واتباع نهجه.

الأخلاق ليست أحد شروط الإيمان. فانعدام الأخلاق لا يتماشى مع الإسلام. الرسول ﷺ قدوة في الأخلاق، من كان يشكو من مشكلة في أخلاقه أو لا يتحلى بالخصال الحميدة كيف له أن يدعي انتهاءه إلى أمة محمد ﷺ واتباع نهجه.

مثلاً نحن نولي الأخلاق اهتماماً كبيراً في علاقاتنا الأسرية، وعندما يتطلب الأمر نتحول إلى عليّة القوم. ولكن يجب ألا تؤخذ الأمور بظواهرها فحين عرّف رسول الله ﷺ خيار أمة المؤمنين، قال:

"خيركم خيركم لأهله."

وهذا يعني أن الأخلاق وقبل أن تظهر في المجتمع يجب أن تظهر في الأسرة التي تُعتبر الخلية الأساسية في المجتمع.

أحمد طاش غاتيران: قلنا قبل قليل، لا يكون المسلم مسلماً إذا لم يتحلّ بالأخلاق. إذا ما نظرنا إلى حياة المؤمنين في المجتمع الإسلامي نرى مسافة هائلة تفصل الإنسان عن الأخلاق. وإذا قمنا بتسليط الضوء على المؤمن وحاولنا تحديد إيجابياته وسلبياته نجد أنفسنا أمام السؤال التالي: أيهما أكثر: الإيجابيات أم السلبيات؟ لكن كيف يحصل هذا؟ كيف يمكن أن ينأى المؤمن بأخلاقه عن أساسيات الإيمان؟

نور الدين يلدز: هناك نقطتان أساسيتان الأولى "لا يوجد مؤمن عديم الأخلاق"، والثانية "لا يوجد مؤمن لا يخطئ". قد لا يؤدي المؤمن الصلاة في وقتها، نفس الأمر ينطبق على الأخلاق. المؤمن قد يكون مقصراً في صلاته أو في إحدى خصال أخلاقه. ومن هنا يجدر بنا التفكير بأن المؤمن ليس معصوماً عن الخطأ فهو ليس ملاكاً، ولكن يمكن القول إن على المؤمن ألا يرتكب ذنباً تفوق حسناته.

أحمد طاش غاتيران: عند التمعن في الفرد وفي المجتمع الإسلامي نرى مثلاً شخصاً يواظب على صلاته في حين أنه يعاني من مشاكل واضحة في أخلاقه. هنا لا بد من التساؤل: كيف يكون المؤمن هكذا؟

نور الدين يلدز: إنها دعاية سيئة بحق المؤمن، حيث يتم تعريفه بطريقة سيئة. هل يمكن ألا يهتم المؤمن بالأخلاق؟ لا وجود لمثل هذا المؤمن. هل يمكن أن يكون المؤمن بدون أخطاء؟ هذا أيضاً أمر غير ممكن. أبسط مثال على ذلك هو أنه يمكن للمؤمن أن يتشاءب

ويؤثر سلباً على نشاط أصدقائه، أو يمكن أن يتلفظ بكلمة غير مستحبة فنحن بشر. والإنسان ليس له أن يدّعي الكمال. حسناً، ماذا علينا أن نفعل في هذه الحالة؟ يجب أن تكون أفعالنا الحميدة أكثر من أخطائنا. وهناك أمر آخر وهو أن علينا عدم التشدد في قراراتنا. مثلاً أي طفل قد يكون مشاكساً لكن هذا لا يعني أن نتخلى عنه أو نتبرأ منه فالطفل لا يشاكس باستمرار، يشاكس مرة في الأسبوع لا أكثر. وإن كان يشاكس كثيراً فهذا يعني وجود مشكلة أخرى لديه وبأن الأمر قد تعدى قضية المشاكسة في حدودها الطبيعية.

أحمد طاش غاتيران: كما قلت في البداية، تُعتبر الأخلاق في يومنا هذا المعايير التي يقبل بها الجميع في المجتمع. هل دخلت هذه المعايير حياة المؤمن الذي وجد نفسه منجرفاً بشكل أو بآخر في تيار المجتمع بكل ما فيه

نحن نولي الأخلاق اهتماماً كبيراً في علاقاتنا الأسرية. وعندما يتطلب الأمر نتحول إلى عليّة القوم وإلى أكابر عثمانيين. ولكن يجب ألا تؤخذ الأمور بظواهرها فحين عرّف النبي ﷺ خيار أمة المؤمنين، قال: "خيركم خيركم لأهله." وهذا يعني أن الأخلاق وقبل أن تظهر في المجتمع يجب أن تظهر في العائلة التي تُعتبر الخلية الأساسية في المجتمع.

من مفاهيم ومعايير مختلفة؟ هل من الممكن أن يكون عدم إلمام المؤمن بشكل كاف بمفهوم الأخلاق التي يجب أن يتحلّى بها كمؤمن هو الذي يؤدي إلى تأثره بمفاهيم المجتمع؟

نور الدين يلدز: سأذكر مثلاً على ذلك وهو قول رسول الله ﷺ:

"إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه."

أي إن المرجع الأساسي في الحكم على الشخص هو دينه وأخلاقه. يمكننا هنا أن نتساءل ولكن أين الدين والأخلاق منا اليوم؟

إننا على عتبة الدنيوية والانشغال بالحياة الدنيا. لقد

الزاني أو لاعب القمار. وكما أننا لا نضع اللبن في كأس قدر كذلك لا يمكن للإسلام أن يكون ديناً لقديمي الأخلاق إنهم يرفضونه ويولون بعيداً هرباً منه.

أحمد طاش غاتيران: هل هناك استعداد خُلقي للتوجه نحو الأخلاق؟ هل هذه الفكرة صحيحة؟ هل نصل بارتداء رداء الإسلام إلى الأخلاق؟

نور الدين يلدز: يولد الإنسان بفطرة سليمة. لكن قد تقوم عوامل من المحيط بإفسادها، وهنا يأتي دور الإسلام بتصحيح الفطرة وإعادتها إلى أصلها. إن الإنسان يُخلق سليماً صحيحاً نظيفاً ثم يعكره الكفر ويشوه الشيطان فطرته. يشير الرسول ﷺ إلى هذا بقوله:

"كل مولود يولد على الفطرة."

أبسط مثال على ذلك صدق الأطفال، فالأطفال لا يستطيعون الكذب، بل ونراهم يُصدقون والدهم حتى لو تكلم كذباً. فلا مكان للكذب في فطرة الطفل. ولكن فيما بعد يتفوقون على والدهم في اختلاق الأكاذيب.

أحمد طاش غاتيران: يهتم الناس في العادة بتعلم كيفية الصلاة والصيام. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل يجب أيضاً تعلم الأخلاق أم أن تعلم الصلاة والعبادات أمر كاف لاكتساب الأخلاق؟

نور الدين يلدز: قد لا تفيد الصلاة البعض في اكتساب الأخلاق وتعلمها كما يجب، ناهيك عن أن الشيطان يوسوس في أذن المصلين الكثير من الأكاذيب المنمقة المعسولة. وأنا أعتقد أن تدريس الأخلاق لا يكون كتدريس العلم وتلقين المعلومات لأنه عندما تتحول الأخلاق إلى كتاب ومعلومة، فمن السهل حينها أن تُؤلف نظريات معاكسة لها تطعن بصحتها.

أحمد طاش غاتيران: فإذا كيف يمكن أن يكتسب الإنسان الأخلاق ويتعلمها؟

نور الدين يلدز: لكي نتعلم أخلاق الدين كل ما علينا فعله هو قراءة رياض الصالحين، قراءة الأحاديث الشريفة والتمعن في صفات وشخصية رسول الله ﷺ. أما الأخلاق المصنفة إلى معلومات وفصول فإنها أشبه

جرفنا العالم بمعايير الجديدة حتى كاد ينسينا أخلاقنا أو يكسبنا أخلاقاً جديدة. لقد أصبح اللباس وأناقة المظهر معياراً لدرجة الأخلاق. كذلك فإن استعمال كلمات دبلوماسية منمقة يُعد اليوم من حسن الأخلاق. عند إغلاق مكبر الصوت تسمع الكلمات النابية غير المهذبة وعند فتحه تتناهى إلى الأسع كلمات معسولة منمقة. ونحن نقبل بهذا كله بل نعتبره ضرورة هامة في حياتنا. إننا نعيش متأثرين بالأفلام والمناهج المدرسية. عندما نرى إنساناً لطيفاً يسترعي انتباهنا وكأنه شخصية أتت من التاريخ، غريبة لا تمت بصلة إلى ما حوله.

والأعجب من ذلك أننا حين نرى شاباً خلقاً مهذباً وبدل أن نقول: ما شاء الله على حسن خُلُقهِ، وندعو له أن يحميه الله ويبارك فيه، نقول: إنه "يشبه الفتاة" ولكأنها اللطافة لا تليق بالرجال. فالتمتع بالأخلاق ولطف



التعامل أصبح قصراً على جنس دون سواه. وهذا أمر غير مقبول على الإطلاق. فالأخلاق هي الدين بعينه. لا داعي لتشبيه من كان على خلق كريم بالفتاة، بل يجب وصف كل من يتمتع بخلق حسن بأنه ذو أخلاق شبيه بأخلاق الرسول ﷺ.

أحمد طاش غاتيران: تدخل العقيدة القلوب عندما يدخل القرآن القلوب، وعندما يدخل الرسول الكريم ﷺ إلى الحياة يتحلى الناس بالأخلاق الواجب على المؤمن التحلي بها...

نور الدين يلدز: إن الإسلام دين أصحاب الخُلق القويم، يمكن تشبيه ذلك عندما نضع اللبن الأبيض في كوب نظيف براق. لا يمكن أن يكون الإسلام دين

ما تكون بالفلسفة. مثلاً إذا أردنا تعليم طفل أخلاق الرسول ﷺ وقدمناها له على شكل معلومات في كتاب، فإن هذا الكتاب سيحتوي على معلومات دخيلة من كتاب آخر ومن فكر آخر، لذا فمن الأفضل أن يتعرف الطفل على الرسول ﷺ من خلال الأحاديث مباشرة فيحفظ مئة حديث مثلاً.

أحمد طاش غاتيران: هل تعني أن نروي للطفل كيف كان يعيش الرسول ﷺ وكيف كانت شخصيته؟

نور الدين يلدز: يقول حديث نبوي شريف:

"حق المسلم على المسلم ست. قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه."

إذا ما حفظتُ هذا الحديث فهذا يعني أنني سأعمل به وسأراعي الأسس الستة التي وردت فيه طالما أنني مؤمن. لذا فأنا أرى أن تحفيظ الأحاديث أمر ضروري للأطفال. مثلاً يتضمن كتاب رياض الصالحين أكثر من خمسمئة حديث والطفل الذي يتعلمها ينشأ نشأة مشابهة لنشأة أنس بن مالك.

أحمد طاش غاتيران: أود أن أسألك عن العلاقات في المجتمع كيف يجب أن تكون؟ مثلاً: حياة الأسرة، كيف يجب أن يتعامل الأزواج مع بعضهم البعض؟ ما هي معايير الأخلاق في علاقة الوالدين بالأولاد؟ ما هو السلوك الصحيح للأولاد مع الوالدين والأجداد والجدات والأقارب المتخاضمين. فلنبداً بكيفية تعامل الزوجين في إطار الأخلاق، كيف يجب أن تكون؟

نور الدين يلدز: لتذكر المعايير التي تكلمنا عنها آنفاً. لقد قلنا إن أخلاق المؤمن هي دينه. المؤمن يعرف من مدى التزامه بدينه والملتزم بدينه ملتزم بأخلاقه دون شك. فالدين هو الأخلاق بعينها والأخلاق هي الدين بعينه، بمقدار ما أتمسك بديني أتمسك بأخلاقي. ما هي النتيجة الطبيعية لهذا؟ كم نقضي من أوقاتنا في المنزل، وفي العمل وفي الجامع، يجب توزيع الأخلاق بحسب

إننا على عتبة الدنيوية والانشغال بالحياة الدنيا. لقد جرفنا العالم بمعايير الجديدة حتى كاد أن ينسينا أخلاقنا أو يكسبنا أخلاقاً جديدة. لقد أصبح الهندام وأناقة المظهر معياراً لدرجة الأخلاق. كذلك فإن استعمال كلمات دبلوماسية منمقة يُعد اليوم من حسن الأخلاق. عند إغلاق مكبر الصوت تسمع الكلمات النابية غير المهذبة وعند فتحه تتناهى إلى الأسعاع كلمات معسولة منمقة.

هذه النسبة. إذا ما حسبنا النسبة المثوية لتواجدنا في كل من هذه الأماكن فيمكننا أن نعرف نسبة أخلاقنا. نحن بحسب ما تقتضيه متطلبات الحياة اليوم نقضي ٥٥ - ٦٠ في المئة من أوقاتنا في المنزل و٥ في المئة في المسجد وإذا ما سئل أصدقاؤني عن أخلاقي عندها ستكون إجابتهم أنها لا تتعدى الخمسة في المئة ذلك أن هذا هو الوقت الذي أكون فيه في المسجد فحسب. فأنا في المسجد لا أنام ولا أكل كل ما أقوم به هو عبادة الله. ولكن حساب نسبة أخلاقي على أنها الوقت الذي أكون فيه في المسجد فقط أمر غير صحيح. وقد أشار عمر رضي الله عنه إلى ذلك.

أحمد طاش غاتيران: كيف ذلك؟

نور الدين يلدز: أشار عمر رضي الله عنه إلى أنه علينا ألا نغتر بقيام شخص وقعوده في صلاته، بل علينا أن ننظر إلى تجارته. علينا ألا ننظر إلى الوقت الذي يقضيه في المسجد وحسب حتى نُقيم أخلاق إنسان. إذا ما كان يقضي خمسة في المئة أو ربما عشرين في المئة من وقته في المسجد وثلاثين في المئة في العمل فإنه يقضي خمسين في المئة من حياته في المنزل.

أحمد طاش غاتيران: أي أن نصف أعمالنا التي نُكتب عند الله تعالى نُكتب ونحن في منازلنا...

نور الدين يلدز: نعم بالضبط. نمضي قسماً كبيراً من حياتنا في المنزل. إن المكان الذي توجد فيه وسادتك والذي تنام فيه هو مكانك الأساسي. أما مكان العمل مثلاً فليس كذلك بالطبع. عندما تُمسك أخلاق المؤمن تُمسك وهو في منزله لأنه المكان الذي يقضي فيه نصف

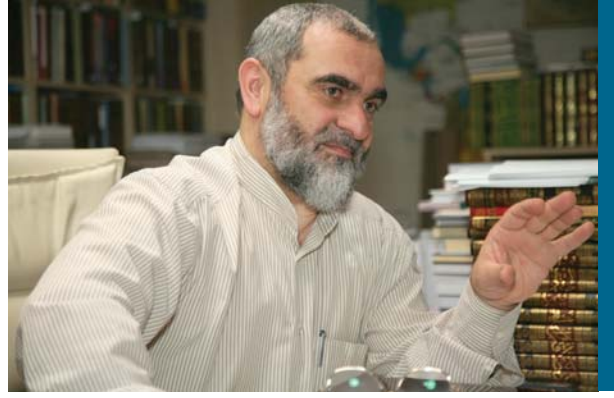
نور الدين يلدز: ترد في القرآن كلمة "المعروف" دلالة

على طريقة التعامل داخل المنزل دون التطرق إلى ذكر أفعال معينة. والمعروف هو الأمر الجيد الحسن المناسب للمعايير. لماذا لم تُذكر أفعال معينة؟ لأن هذا يتغير مع الزمن. للفقهاء شروحات غريبة في هذا الصدد. فهم مثلاً يقولون إذا ما تزوج الرجل بامرأة غنية (أو المرأة برجل غني) فعليه هو أن يحدد معايير التعامل معها أو بعبارة أخرى أن يُحدد معايير المعروف. أما إذا تزوج الرجل بامرأة فقيرة فالأمر أسهل فهي لا تنتظر منه الكثير.

يُحكى أن ابن عباس رضي الله عنه ابن عم الرسول ﷺ ومفسر القرآن الكريم كان يوماً في طريقه إلى منزله فأنحنى على بركة ماء ونظر إلى انعكاس وجهه عليها ثم قام بتسريح شعره وذقنه. فتعجب أصدقاؤه الذين كانوا برفقته ومازحوه قائلين: ما بال مفسر القرآن الذي تقدم به السن يُسرح شعره الأبيض. وكأنهم يقولون له "سواء سرحت شعرك أم لم تفعل فلا فرق." وانتظروا جوابه لعلمهم بأنه سيكون مرشداً لهم في حياتهم. فقال لهم: امنحوا زوجاتكم ما تريدونه منهن. إن هذا ما يوصي به القرآن. أي أعطي الزوجة بمقدار ما تريده، وإذا طلبت من زوجتك أن تكون جميلة فكن أنت كذلك.

عندما أذهب إلى منزلي أريد أن ألقى زوجتي جميلة وأنيقة لذا أقوم أنا أيضاً بذلك، هذه هي أخلاق المؤمن. ولكن إن كنت فهمت من هذا أن عليك وزوجتك الذهاب إلى صالون الحلاقة فإنك لم تفهم شيئاً من الإسلام. إن مقياس الرجولة لدى ابن عباس هو: إن كنت لا أريد أن تصرخ زوجتي في وجهي فعلي ألا أصرخ أنا في وجهها، وإن كنت أريدها أن تسرح شعرها فعلي أنا أيضاً أن أسرح شعري. أن يكون للزوج الحق في أن يطلب دون أن يكون للزوجة نفس الحق ليس من الأخلاق. هذه أكبر المشكلات التي تعانيها الأسر. لا يحق للرجل الطلب والأمر وفرض رغبته على زوجته، من لا يعطي الحق لزوجته أن تعامله كما يعاملها فلم يعلمه القرآن الذي علم ابن عباس.

.....تتمة المقابلة في العدد القادم



وقته على أقل تقدير. والنقاط التي يحصل عليها من ذلك كافية لتجعله يحتاز معدل النجاح. وفي حال الحصول على النقاط التامة في المنزل فإنه يكفي الحصول على اثنين أو ثلاثة في المئة من مكان آخر لتجاوز معدل النجاح. ولكن المؤمن الذي لا تكون أخلاقه كما يجب داخل منزله، لا يحصل على النقاط الكافية وسيكون من الصعب أن يحصل على نقاط من أي مكان آخر ليتجاوز معدل النجاح. فالمسجد هو المكان الذي نؤدي فيه واجباتنا تجاه الله عز وجل، أما الأخلاق فهي تتعلق بعلاقتنا مع الآخرين.

أحمد طاش غاتيران: إذن ما الذي علينا القيام به في المنزل لكي لا نخسر نسبة الخمسين في المئة؟

نور الدين يلدز: إن الخلافات بين الأزواج هي أكبر مشكلات الأسرة. في زمن الرسول ﷺ كثر الحديث عن المشاكل الأسرية في المسجد في المدينة المنورة وكانت النساء تأتين لتشتكين أزواجهن، فاشتكى عمر رضي الله عنه النساء إلى رسول الله ﷺ. عندها نهض الرسول ﷺ وقال: إن أقرب المؤمنين له يوم القيامة هو أفضلهم خلقاً وبأن أفضلهم خلقاً هو من يعامل زوجته معاملة حسنة. أين يقول ذلك؟ إنه يقوله في المسجد عند صلاة الصبح. يثبت هذا الحديث أن المسجد لا يملأ مكان المنزل في حين أن المنزل يملأ مكان المسجد.

أحمد طاش غاتيران: كيف تكون هذه المعاملة الحسنة؟

الخير للخير

الأستاذ: سمير مرشد

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ٩)

- أي أن الشيخ كان يفعل الخير للخير، ولم يكن ينتظر له ثمناً، ثم رد الفطيرة إلى الرجل وقال له: خذها أنت وعيالك.

- وفي الطريق إلى بيته قابل امرأة تبكي من الجوع ومعها طفلها، فنظرا إلى الفطيرتين في يد الرجل. فسأل الرجل نفسه: هذه المرأة وابنها مثل زوجتي وابني يتضوران جوعاً فلمن أعطي الفطيرتين، ونظرا إلى عيني المرأة فلم يحتمل رؤية الدموع فيها، فقال لها: خذي الفطيرتين فابتهج وجهها وابتسم ابنها فرحاً.. وعاد يحمل الهم، فكيف سيطعم امرأته وابنه؟

- خلال سيره سمع رجلاً ينادي: من يدل على أبو نصر الصياد؟.. فدلّه الناس على الرجل..

فقال له: إن أباك كان قد أقرضني مالا منذ عشرين سنة. ثم مات ولم أستدل عليه، خذ يا بني ٣٠ ألف درهم مال أبيك.

يروى احد التابعين الكبار وهو أحمد بن مسكين هذه القصة :

كان هناك رجل اسمه أبو نصر الصياد، يعيش مع زوجته وابنه في فقر شديد فمشى في الطريق مهموماً لأن زوجته وابنه يبكيان من الجوع فمر على شيخ من علماء المسلمين وهو "أحمد بن مسكين" وقال له: "أنا متعب فقال له: اتبعني إلى البحر.

- فذهبا إلى البحر، وقال له: صلي ركعتين فصلي، ثم قال له: قل بسم الله، فقال: بسم الله... ثم رمى الشبكة فخرجت بسمكة عظيمة.

- قال له: بعها واشتر طعاماً لأهلك، فذهب وباعها في السوق واشترى فطيرتين إحداها باللحم والأخرى بالحلوى وقرر أن يذهب ليطعم الشيخ منها فذهب إلى الشيخ وأعطاه فطيرة، فقال له الشيخ: لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة.

سن آثار الصدقة

فيها انشراح الصدر، وراحة القلب
وطمأننته، فإن النبي ﷺ قال:

"مثل البخيل والمنفق، كمثّل رجلين
عليهما جبتان من حديد، من لدن
ثدييهما إلى تراقيهما، فأما المنفق: فلا
ينفق شيئاً إلا مادت على جلده، حتى
تجن بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل: فلا
يريد ينفق إلا لزمت كل حلقة موضعها،
فهو يوسعها فلا تتسع" ويشير بإصبعه
إلى حلقة. [البخاري، رقم ٥٢٩٩]

فالمصدق كلما تصدق بصدقة انشراح
لها قلبه، وانفسح بها صدره، فهو بمنزلة
اتساع تلك الجبة عليه، فكلماً تصدّق
اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه،
وعظم سروره، ولو لم يكن في الصدقة
إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبدُ
حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها
وقد قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (التغابن: ١٦)

- يقول أبو نصر الصياد: وتحولت إلى أغنى
الناس وصارت عندي بيوت وتجارة وصرت
أصدق بالألف درهم في المرة الواحدة لأشكر الله
سبحانه وتعالى.

- وأعجبني نفسي لأني كثير الصدقة، فرأيت
رؤيا في المنام أن الميزان قد وضع وينادي مناد: أبو
نصر الصياد هلم لوزن حسناتك وسيئاتك، يقول
فوضعت حسناتي ووضعت سيئاتي، فرجحت
السيئات، فقلت:

أين الأموال التي تصدقت بها؟

فوضعت الأموال، فإذا تحت كل ألف درهم
شهوة نفس أو إعجاب بنفس كأنها لفافة من
القطن لا تساوي شيئاً، ورجحت السيئات.
وبكيت وقلت:

ما النجاة وأسمع المنادي يقول: هل بقي له من
شيء؟ فأسمع الملك يقول:

نعم بقيت له رقاقتان فتوضع الرقاقتان
(الفطيرتين) في كفة الحسنات فتعطب كفة الحسنات
حتى تساوت مع كفة السيئات.

فخفت وأسمع المنادي يقول: هل بقي له من
شيء؟

فأسمع الملك يقول: بقي له شيء فقلت:
ما هو؟ فقليل له: دموع المرأة حين أعطيت لها
الرقاقتين (الفطيرتين) فوضعت الدموع فإذا بها
كحجر فثقلت كفة الحسنات، ففرحت فأسمع
المنادي يقول: هل بقي له من شيء؟ فقليل: نعم
ابتسامة الطفل الصغير حين أعطيت له الرقاقتين
وترجح وترجح وترجح كفة الحسنات.. وأسمع
المنادي يقول: لقد نجا لقد نجا فاستيقظت من
النوم أقول: لو أطعمنا أنفسنا هذا لما خرجت
السمكة.



و

عندما تكسر أجنة الأطفال

ويعتمدون على أنفسهم في أداء أعمالهم، ويتمتعون بثقة تامة بالنفس. إن التمني أمر سهل، غير أن تحقيق الأمان يكون في بعض الأحيان أمراً صعباً.

أولاً يجب أن لا تتجاوز الأمان طاقة الأطفال ومقدراتهم. إذ يعتقد أغلب الناس أن أطفالهم أذكاء وموهوبون، لكنهم يشكون في بعض الأحيان حينما يرون أطفالهم لا يدرسون. إن الأطفال-بطبعهم- يميلون منذ نعومة أظفارهم إلى اللعب بكل ما يصادفونه، فذلك أمر ضروري لنموهم العقلي، وأثناء ذلك يتعلمون ما يجب عليهم تجنبه من خلال أوامر الوالدين التي تنهاهم عن لمس هذا الشيء أو اللعب بذلك أو الذهاب إلى مكان ما... لذلك يتعد الأطفال عن دروسهم، ويتجنبون البحث وتفحص المحيط وتقليب صفحات الكتب، وهكذا فإنهم عندما يكبرون سيتحولون إلى أشخاص يكتفون بالمراقبة وحسب، بعد أن يقل لديهم شغف البحث ويعجزون عن معرفة ما يريدون فعله، ويفقدون الرغبة في الدراسة.

ثانياً يعتمد الآباء إلى وضع الأطفال أمام عدة خيارات لتنمية إحساسهم بالأمان والمسؤولية. وفي حين يعطي الآباء أبنائهم الإحساس بالأمان حتى

يرغب الآباء والأمهات في أن يكون أطفالهم ناجحين دائماً في المدرسة، وأن يدرسوا دون أن يُطلب منهم ذلك، وأن يكونوا الطلبة الأكثر تفوقاً في مدارسهم. ويرغبون أيضاً في أن يروا أبنائهم في الحياة الاجتماعية يتحملون المسؤولية،





إلى جانب ذلك يجب:

١. إعطاء الأطفال حق التعبير في النقاشات الأسرية.
٢. التركيز على الجوانب الإيجابية وليس السلبية لدى الأطفال، وإبداء ردود الأفعال المناسبة على تصرفاتهم السلبية.
٣. أن تكون الآمال المعقودة على الأطفال ملائمة لأعمارهم وقدراتهم.
٤. بث روح الشجاعة لدى الأطفال من خلال جعلهم يتحملون مسؤوليات تلائم أعمارهم وقدراتهم.
٥. جعل الأطفال يشعرون أنهم ذوو قيمة وأن لهم مكانة لا يستغنى عنها في الأسرة.
٦. تجنب إطلاق الأحكام السلبية بحق الأطفال وعدم معاقبتهم بصورة غير ملائمة.
٧. تجنب التركيز على صفات الأطفال السلبية أو مقارنتهم بالآخرين باستمرار.
٨. تشجيع الأطفال على دخول الأوساط الاجتماعية ولعب دور فيها.
٩. تشجيع الأطفال على استقبال الضيوف الذين يزورون المنزل وإعطائهم حق الكلام أمام الضيف.
١٠. تجنب إبداء ردود أفعال أو انتقادات مبالغ فيها حيال التصرفات السلبية الصادرة عن الأطفال.

والخلاصة أنه على الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم، وأن ينموا إحساسهم بالثقة بالنفس، ويوكلوا إليهم مسؤوليات تناسب مهاراتهم، ويعطوهم دفعات إيجابية.

النهاية في موضوع الدراسة، فإنهم لا يقدمون لهم الدعم والثقة اللازمين فيما يخص إعطاء القرارات وتطبيقها.

يجب أن تكون توقعات الأهل من أطفالهم ملائمة لقدراتهم ولطاقاتهم، ويجب تطوير إحساس المسؤولية واحترام الذات لدى الأبناء، لأن الفعل الذي لا يرافقه إحساس الثقة بالنفس كأوراق أشجار الخريف التي تساقط على الأرض مع أول هبة ربح خفيفة.

تنمية الشعور بالمسؤولية:

يتربى الأطفال في مجتمعنا عموماً أشخاصاً تابعين، وليس أفراداً يتمتعون بحس المسؤولية. لذلك يكونون تابعين للشخصية المرتبطين بها، ويتخوفون من إقامة علاقات صداقة، ويصبحون انطوائيين غير قادرين على الاعتماد على أنفسهم أو اتخاذ القرارات.

لا تقف تدخلات الآباء بأطفالهم عند حدٍّ، فهُمْ يتدخلون في كل شيء بدءاً من الأحذية التي يتعلونها، وليس انتهاء بالمهنة التي سيختارها أبنائهم مستقبلاً، بل يريدون أيضاً أن يقرروا عوضاً عنهم متى وأين وكيف سيدرسون. ولعل بعض الآباء يرغبون بخوض الامتحانات عوضاً عن أبنائهم إذا سُمح لهم بذلك.

وعندما يبلغ الأبناء سنّاً معينة، يلقي الآباء على مسامعهم عبارات مثل "لقد أصبحتم كباراً لكنكم لا تقومون حتى الآن بعمل أي شيء بدوننا". إن حال الآباء هذا كحال الشخص الذي يطلب من العصفور الطيران بعد كسر جناحيه.

إذا رغبت برؤية أبنائنا ناجحين في المدرسة وفي المجتمع ينبغي لنا التوقف عن القيام بأعمالهم عوضاً عنهم وعن التفكير بشؤونهم.

يجب تشجيع الأبناء على أداء مهام ملائمة لأعمارهم، ومكافأهم أحياناً تقديراً لجهودهم. ويجب مقارنة الأمس باليوم بدلاً من مقارنة الأطفال بالآخرين، والتركيز على تصرفات الطفل الإيجابية وليس السلبية لتنمية شعوره بالاحترام تجاه ذاته.



مقي القيسية

عن الله سبحانه وتعالى

أ. د. كريم بولادي

الذي ولد فيه أو الشعب أو الأسرة التي ينتمي إليها. لذا لا يحق لأحد أن يرى نفسه أسمى مرتبة من الآخرين للغة أو عرقه أو لونه أو أصله أو بلده. يؤكد القرآن بشدة على هذا الشأن، ويشير إلى المساواة بين جميع البشر:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)

تشير الآية الكريمة إلى أن المكانة الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى تُعطى لمن يتقي الله سبحانه وتعالى. وتعني كلمة "التقوى" الواردة في الآية الخوف والامتناع عن عمل كل ما من شأنه أن يكون مضرًا في الآخرة، والابتعاد عن كل الأفعال والكلمات التي تدفع النفس لارتكاب المعاصي والذنوب، والابتعاد عن كل ما نهى عنه الله سبحانه وتعالى. وبناء على ما تقدم فإن الأكثر مراعاة لحدود الله سبحانه وتعالى ولما أحله

ينحدر جميع البشر من أصل واحد، وقد تكاثروا من أم واحدة وأب واحد. وفي هذا الإطار جاء الإسلام بنظام مساواة وبمفهوم عالمي للأخوة، وتؤكد هذه الحقيقة في القرآن في الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

توضح الآية الكريمة أن جميع الأعراق البشرية تكاثرت من نفس الأم والأب. وجميع الشعوب والأعراق في العالم أتت من أصل واحد. وكل البشرية خلقها خالق واحد، وكل الأعراق والألوان واللغات والقبايل والشعوب المختلفة خلقها الله تعالى. ولا يختار الشخص أصله أو عرقه أو قومه أو لغته أو لونه؛ بل كل ذلك تقدير من رب العالمين. وما للإنسان خيار في البلد

وحرمة والذي ينظم حياته في إطارهما هو الأكرم عند الله سبحانه وتعالى وهو من ينال المكانة الرفيعة.

وثمة في الآية السابقة رفضٌ مطلقٌ للتعصب سواء كان للعرق أو اللغة أو اللون أو الانتماء القومي أو لشعب بعينه، وتأكيد على أن الله خلق الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتقاربوا ويتمازجوا. ويرفض القرآن الكريم كل مفاهيم استعلاء عرق أو شعب أو أمة على الآخرين، لأن الاستعلاء يولد الحروب والمظالم والاحتلال ويشعر الاعتداء على حقوق الآخرين. إن مبدأ المساواة الذي وضعه الإسلام أكبر ثورة عرفها تاريخ البشرية.

تعيش الشعوب والأمم والقبائل في مناطق جغرافية وفي أقاليم مختلفة، ولكل منها بطبيعة الحال لغتها الخاصة ولونها ونمط الحياة الذي يناسبها. وليس في هذا ضير على الإطلاق، ولا تعني هذه الفروق أن بعض الناس يتمتع بأصل رفيع دون غيرهم. ولا يحق لأي عرق أو شعب أن يستحقر أي عرق أو شعب آخر لأنه يختلف عنه في اللون أو الأصل. فاختلاف اللغات والأعراق والأصول لا يبرر التعدي على حقوق الآخرين أو احتلالهم أو انتهاك حقوق الإنسان. (انظر: أفضال الرحمن، موسوعة السيرة النبوية، مترجم، منشورات انقلاب، إسطنبول، ١٩٩٦، ج ٣، ١٥٣ - ١٥٤)

وقد خاطب النبي ﷺ الناس عند فتح مكة بعد الطواف حول الكعبة، قائلاً: "يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها، فالناس

رجلان: رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى، يا أيها الناس كلكم من آدم وآدم من تراب." (أبو داود، أدب، ١٢٠؛ الترمذي، مناقب، ٧٥)

لقد انتقد الرسول الكريم ﷺ التعصب القبلي والحروب التي أشعل التعصب نارها، وأشار إلى أن كل من يساعد عشيرته وهي ظالمة، فإنه يساند الظلم ويشبه حاله حال الذي يحاول شد ذيل الجمل الواقع في الحفرة لإنقاذه. إن من يقوم بذلك سوف يغرق في حفرة الذنوب. وبين الرسول ﷺ أن كل من يثير قضية القبيلة ويخوض الحروب من أجلها ويموت في سبيلها ليس من أمته عليه السلام. (انظر: أبو داود، أدب، ١٢١)

والخلاصة أن المجتمع الذي هدف القرآن الكريم لإنشائه وأراد رسولنا ﷺ تأسيس دعائمه لا امتياز فيه لأحد على أحد للغة أو عرق أو لون أو وطن أو أمة أو شعب؛ فجميع البشر سواسية عند الله ﷻ، ولا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى. التقوى هي المعيار الحقيقي للارتقاء ولبلوغ المكانة الرفيعة. والصالح من الناس هو من يتمسك بأوامر الله تعالى ويتجنب نواهيه. لذا فإن القرآن الكريم يأمر بالتسابق في الخيرات والتقوى وينهى عن الظلم ومساندة الظلمة. فيقول الله تعالى:

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢)

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره:

وقد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك. قال: بلى. قال: فما عملت. قال: شمريت واجتهدت. قال: فذلك التقوى، وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال: خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى، واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى، لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى.



حلاوة الإيمان

قال رسول الله ﷺ:

"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء

لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (رواه البخاري، ٦٩٤١)

ويلزم هذه المحبة الاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ والانتفاء عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ مع الرضى والتسليم التام قال تعالى:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)

وذكر ابن القيم رحمه الله الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى بعد فعل الفرائض ومنها:

١. قراءة القرآن بتدبر وتمعن.
٢. التقرب إلى الله بالنوافل.
٣. دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل.
٤. إثارة محبته على تحابب النفس.
٥. مجالسة المحبين الصادقين.
٦. مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ.

(مدارج السالكين: ٣/ ١٧)

الإيمان بالله تعالى له حلاوة لا يتذوق طعمها إلا المؤمنون الصادقون الذين يتصفون بصفات تؤهلهم لذلك، وليس كل من ادعى الإيمان يجد هذه الحلاوة.

فمحبة الله تعالى، ومن ثم محبة رسوله ﷺ من أهم صفات من يتذوق طعم الإيمان، فمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ لا يعلو عليها أي محبة، بل هي مقدمة على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين لما جاء عن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: "لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: "الآن يا عمر" (رواه البخاري)

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (البخاري)